

افرا

قالت له ..



محمد زكي عبدالقادر

دارالمعارف بمط



تصدر في أول كل شهر

رئيس التحرير: عادل الغضبان



دار المعارف بمصر

أسلوب اليوم وتفكير الغد

محمد زكي عبد القادر

قالت له ...

اقرأ ٣٠٧

دار المعارف بمصر

اقرأ ٣٠٧ - يولية سنة ١٩٦٨

الناشر : دار المعارف بمصر - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج ٠ ع ٠ م ٠

الاستقرار

- قالت له : هذه المرأة . . . أنا أو هي ؟
وسألها متعجباً : أية امرأة ؟
أجابت بتقطيب وحزم : لا أعرف من هي ولكنني متأكدة أن امرأة
أخرى في حياتك . . .
قال : لا أعترف بالتأكيد المستند إلى مجهول . . .
قالت والغیظ يقتلها : الكهرباء لا نراها ولكننا نعرفها . . .
سأل في شبه سخرية : وهل هذه المرأة مثل الكهرباء . . .
كتمت ضيقها وتجاهلت سخريته وقالت جادة : مثلها من حيث
أثرها . . . لقد تغيرت معاملتك لي واستقبالك إيتاي وسؤالك عني . . .
— ولكنني لا أحس أنني تغيرت . . .
— الذي يحس التغيير من يوجه إليه التصرف ، وليس من يقوم به .
قال متلطفاً : هذا وهم أكثر منه حقيقة . . . هذه هي المرأة دائماً .
— ماذا تعني ؟
— أعني أن المرأة أكثر أوهاماً وخيالا من الرجل .
— أنت مخطئ ، إنها واقعية . إذا أردت الحق ، قلت إن إحساسها
يقودها أكثر من أي شيء آخر . . .
— قد يكذب الإحساس . . .
— بل هو صادق في كل الأحوال . . . الألفاظ يمكن أن يتلاعب بها
الإنسان . نبرة الصوت والتعبير يمكن أن يكون كل منهما مجالا للخديعة . .
وسأل في سخرية أقل : تعنين أن المرأة ملهمة . . .
وزادت في كبت شعورها وقالت جادة أيضاً : شيء من هذا . . .

— أنت تبالغين ، لم يذكر التاريخ أن رسالة الإلهام نزلت على امرأة .
 قالت متحدية : ولكن ذكر التاريخ أنها حكمت الرجال .. دونخهم ..
 — بالخديعة ، لا بالإلهام .

وكادت تقذفه بقططوقة في يدها ثم كزت على أسنانها وقالت : الرجل
 هو الذى يعرف الخديعة .. هو الذى أنشأها ..

واحتفظ بثباته وسأل : هل خديعته هى التى طردت حواء من الجنة أم
 أن حواء هى التى طردت آدم ؟

وأحست أنها فى مأزق ولم تعرف كيف تجيب ، فأنشبت أظافرها فى
 عنقه وانهمرت دموعها وهى تقول : قل من هى المرأة الأخرى .. قل
 ولا قتلتك .

وأبعد أظافرها عنه فى رفق وقال : لا المنطق ينفع ولا الحق ينفع مع
 المرأة ..

وتشجبت ببكاء ثقيل وقالت فى ضعف تقويه الدموع : أنت ظالم ،
 رجل ظالم تستغل ضعف المرأة كما يفعل كل الرجال . كسر الله قلبك
 مثل ما كسرت قلبي .

ولم يجد بداً من أن يربت على كتفها ويعتذر إليها من قسوته وظلمه ،
 فزادت من نشيجها واستطاع أن يسمع بصعوبة ألفاظها المتقطعة : قل
 من هذه المرأة .. هناك امرأة ، لا تحاول أن تخدعنى ..
 وضمها إلى صدره فى حنان وجفف دموعها فى رقة ، وأطال النظر فى
 عينيها ، فهذأت بعض الشيء واستكانت بين يديه ..

ومرت فترة من الصمت العسير ثم قالت : هل تحببى حقيقة ؟
 — أرجعنى إلى إحساسك .

— أحياناً يقول إنك تحببى ، وأحياناً يقول إنك تخدعنى ..
 وسأله : والآن ماذا يقول ؟

وردت في صوت ناعم : يقول إنك تحبني .. رأيت ذلك في عينيك.
 وأدناها منه وقال في صوت أكثر نعومة ورقة : وهذه هي الحقيقة ..
 وقالت في صوت الذي يريد فض المعركة : هل أطمئن إليك ؟ إن
 المرأة لضعفها تريد الاستقرار في ظل رجل يحبها ويحميها .
 قال وهو يعبث بشعرها الناعم المتهدل : ألا تشعرين الآن باستقرار ؟
 — غاية الشعور ، ولكنني أخشى المستقبل . الشك يقتلني .
 — وهو الذي يحمي الحب بيننا .. لا تكرهيه . إنه الغداء القبيح
 للحب الجميل .

وسألت في هدوء لذيذ وهي متشبثة بعنقه : ألا توجد امرأة اذن ؟
 قال : بل توجد ...
 وهبت مذعورة كمن استيقظت من نوم هنيء على كابوس ثقيل .
 من هي ؟
 أجاب مبتسماً وهو يضمها إلى صدره : أنت .. أنت كل امرأة
 في الوجود .

اللحظة العابرة

قالت له : هل كل المذنبين يلقون العقاب ؟
قال : هكذا أظن .

قالت : لا أعني المذنبين طبقاً للقانون ، ولكنني أعني الذئاب التي
تريد أن تفرس الضحايا
- تعنين

سارعت قائلة : أعني الرجال الذين يريدون أن يأخذوا الثمن قبل أن
يقدموا الفتاة للعمل أو الشهرة أو المجد أو المال ..
واستطردت : كل شيء عندهم له ثمن ، فإذا لم تبدله الفتاة فلا بد
أن تظل في آخر الصفوف .

قال : أنت متشائمة أكثر مما يجب . إذا كان هناك من يريدون قبض
الثمن فإن هناك أيضاً من يبدلون دون أن ينتظروا الجزاء . . .
واضطربت بعض الشيء وقالت مصممة : فقدت ثقتي بكل الناس ،
أعني الرجال . . . بعض الناس يظن أن الفتاة أمامها فرص أكثر مما هي
أمام الشباب .

قال مقاطعاً : وهذا ما أعتقده . تخرج قبل الميعاد وتأخذ من الإجازات
أضعاف ما يأخذ الرجل . : يقربها الرئيس ويحنو عليها الزملاء وتجدي في
ضعفها مادة صالحة لأخذ الحق وغير الحق . . فإذا لم ينجح للضعف في
البكاء الترياق . . .

قالت وهي تنتفض : وهل يفعل الرجال هذا حسبة لوجه الله ...
كلا إنهم يفعلونه ووراءه أغراض وأغراض . . إنها تسير في طريق من
الشوك . . .

قال : تستطيع أن تحتفظ بنفسها لو أرادت وصممت . .
 قالت : تفعل على حساب أعصابها ، وقلما تثبت للتجربة أو تستطيع
 السير إلى آخر الطريق . .
 — تعنين . . .

وقبل أن يكمل كلامه قالت : أعني أن كل من تقدم من الفتيات
 في الأعمال وراءهن رجل صديق أو زوج أو طامع في صداقة أو زواج ..
 خدني مثلاً . بدأت العمل وفي ظني أنني كالرجال أعتمد على كفايتي
 واستعدادي وما بيدي من شهادات . ولكن هذا كله ذهب وبقى شيء
 واحد هو أنوثتي . كل واحد يساومني عليها فإذا لم أستجب فالعذاب
 والعقاب ، أو على الأقل الإهمال والاضطهاد . . كان في استطاعتي أن
 أتزوج وأريح نفسي من هذا العذاب ، ولكنني أريد أن أشعر بكياني
 كإنسان يستطيع أن يعمل وليس كمجرد امرأة يمكن أن تتسلق على
 أكتاف الرجال . . إنني في أزمة ، في محنة . . كل الصور تضطرب
 وتختلط أمام عيني . أصبحت الفضيلة أمام الناس عقدة من العقد .
 جلس الرجل الكبير أمامي وأمسك بيدي واستردتها منه فعجب وقال
 أنت معقدة .. قلت له : وإذا تركت يدي لك وبعد يدي سائر جسمي
 أفلا أكون معقدة ؟ .. قال : أنت تبالغين . قلت : بل أنت تريد أكثر
 مما أستطيع أن أعطي . قال : ولكن يدك .. قلت : المسألة ليست يدي ،
 المسألة ما في عينيك من نظرات وما في همسات لسانك من معان . . .
 ضحك وقال : غرضي شريف . قلت له : يمكن أن يكون غرضك
 شريفاً أيضاً دون أن تمسك بيدي . .

وسكنت لحظة ثم استطردت : أستطيع أن أحكي لك عشرات وعشرات
 من الحوادث . في كل مكان يوجد فيه عمل أجدر رجلاً يحاول أن يأخذ
 قبل أن يعطى . . لا تقل مثل غيرك إن طريق العمل أمام الفتاة مفروش

بالزهور . . كلا ، إن الفتاة أسوأ حظاً من الشاب . إن عندها ما يطمع فيه الناس وليس لديهم ما تطمع هي فيه . . إنني لا أعطى نفسي إلا لرجل أحبه وأشعر أنه يقف على حياته العمر كله . لن أبذلها من أجل لحظة عابرة . . ولكنني أريد أن أعمل . أنا في حاجة إلى العمل ، وكى أحصل على العمل لابد أن أبذل هذه اللحظة العابرة . . إنها مأساة . . هل كل ذنبى أننى امرأة ؟

زاد السنوات والأيام

قالت له : أو تحبني ؟ إنني لم أسمع هذه الكلمة من أحد .
وكان وجهها فيه هذا الألم المكتوم والصبر المجروح والإحساس بأن
أنوثتها لا تستهوي الناس . وسكنت وكأنها تسترجع ما أفضت به ... إنها
لم تخلق للحب أو هكذا تصورت . وقالت :

— كلا . . . لم أكن أطمع في هذا . . . لقد رجوتك أن تدعني أحدثك
من وقت إلى آخر وأن أزورك من وقت إلى آخر . إن في عجزاً كما ترى ..
كنتي يئولني وذراعي لا أستطيع تحريكها كما أشاء .. إنني راضية بقدرى .
الذين يحبون ويحبهم الناس أشخاص آخرون غيري .

قال : إنك تبالغين ، إن في عينيك وميضاً غامضاً حلواً . . . إن
وجهك فيه أحلام العذراء . . .

قالت : عجباً . . . كيف تراها ، أنا نفسي أذودها عن نفسي ،
إنني أعرف أنه ليس من حقي أن أحلم كما تحلم أي عذراء ؟

قال : ولكنك تحلمين ، يجب أن تحلمي . . . إن ما بك من عجز
لا يرى . . . إن إشعاع شبابتك وأنوثتك قادران على أن يخفيا أضعاف
هذا العجز . . .

قالت : إنك تعطيني الأمل . . . قلها مرة أخرى ، أريد أن أسمعها
لا لأصدقها ولكن لكي أشعر أنني سمعتها مرة في حياتي .
قال : إنني أحبك . . .

وسكنت ، وأشرق وجهها بوميض عجيب هو خليط من التصديق
والتكذيب ، وهامت في رؤى عذبة ، وبدت أمامه وكأنها قديسة في أرض
من الحرمان . كانت كأنها تتعبد لله الذي حرّمها ووهبها وأضفى عليها

الصبر والسكون ، وجمع في جسمها وكيانها وقلبها وكل جارية من جوارحها ما تجمع الحياة للأني . . وقد أنكرت هذا كله على نفسها ، وظنت أنه ليس من حقها أن تكون كغيرها . . أتراها كانت مخطئة ؟ هل صحيح أن فيها سحراً يستهوي الرجال ؟ هل يمكن أن ينبض لها قلب ويهتز وجدان ؟ ربما . . بل لماذا لا يكون ؟ من المؤكد أن الله الذي حرمها من شيء منحها أشياء .. لا يمكن أن يخلقها هكذا ويدعها للظلام واليأس .

مرّ هذا كله في لحظة بل في أقل من لحظة ، واستدارت إليه كأنها تفيق من حلم عذب وقالت :
— إنك تفتح أمامي جواً جديداً عذبا ، أو تقول الحقيقة ؟ إنني لا أصدق .

واضطرب ، ونظر في وجهها ، فأحس فيه الضراعة مختلطة بالكبرياء ، والصبر الراضى ممتزجاً بالثورة المكتومة ، والأحلام المرفقة بجناحها مقيدة باليأس من التحليق . . .

ولم يستطع إلا أن يأخذ الجواب من هذا الوجه الذي فرض نفسه عليه فرضاً وهمساً : بل أقول الحقيقة . .

وأحست الفتاة في كلامه شعوراً عجباً حارت في تحليله ، ولكنها نهضت وقالت له :

— شكراً ... يكفيني هذا زاداً لأيام وسنوات .. سأحلم كما تحلم الأخريات .

ولما تولت عنه شعر بغبطة عجيبة وقال وكأنه يدعو : رب انثر عليها سلام رحمتك . إن كنت قد أخطأت فاغفر لي ، إنك تعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور .

الامتلاء والفراغ

أحسست بعواطفها تجف وينبوع الهناء الذى كان فى قلبها كأنه يتبخر ، ولم تجاوز الخامسة والثلاثين من عمرها . فقدت الإيمان بالحب والناس والأشياء . . . بالأيام ما مضى منها وما هو بين يديها وما لا يزال محجوباً فى ضمير الغيب . وضاعت بالحياة ، وأحست بها كالفراغ البعيد ليس فيه واحة ولا ظل .

وقالت للرجل الذى أحبته ذات يوم : ماذا ترى فى وقد سكت كل نبض . أنا ثابتة لا أتحرك .

سألها : ربما كانت صدمة هى التى صنعت بك هذا كله ؟
ورنت إليه بعين حلوة مات فيها الشعاع القديم ، وسألت : ألا تزال تحبني ؟

أجاب : كما أنا وربما أكثر . . .

— هذا عجيب . . . أنت ترانى معك كالدمية ، وكنت من قبل إذا رأيتك تفجرت فى الأحاسيس والعواطف . . . تمنيت لو عدت كما كنت ولكنى لا أستطيع . . . كنت فيما مضى أقضى الليل باكية إذا لحت أنك انصرفت عني والآن أقضى الليل باكية لأننى لا أبكى انصرافك عني ولا أفرح لقربك . . . أترانى سأموت . . . وما هو الفرق بين حالتي هذه وبين الموت ؟

أدناها منه وقال فى عطف : ستصحو عواطفك . . . هى صدمة فيها أظن . . . لعله موت أبليك . . . لعله موت أملك . . .

وتأملت برهة استرجعت فيها الحوادث ثم قالت : حينما ماتت أمى اضطربت حياتي بعض الشيء ولكنها استمرت بعد ذلك وأنت تعرف

كل شيء . . .

— إذن . . ربما كان موت أبيك .

وأغمضت عينها لمحة ثم فتحتها وقالت : صحيح إن موت أبى كان كارثة أشد ولكن هل تظن أنه يحدث بى ما أحدث ؟ . . لعله أنت لأنك لم تقابل عواطفى بمثل قوتها .

سألها : وما هى قوة العواطف عندك ؟

— لا تسألنى عنها الآن . كل ما أذكره أنى كنت أقضى الليل مسهدة بينما أنت فى نوم عميق . . هل تذكر الخطاب الذى أرسلته إليك وأنا فى الإسكندرية . . كان قمة الحب وثورته . . ثم . .

— بدأ ينحدر .

— هذا ما أذكره الآن . . السيل حينما يبلغ الجبل ولا يجد اليد التى تشده ينحدر . . تركنى وحدى فاحترقت حتى أصبحت ، رماداً . . لقد أدركت الآن أن عواطفى جفت لأنها احترقت وحدها .

— ولماذا لم تجف عواطفى ؟

— أنت لم تحبنى أبداً . إن ما بك ليس عاطفة حب ولكنها عاطفة أخرى ربما كانت التقدير ، ربما كانت العطف ، ربما كانت مجرد مقابلة بالمثل لعاطفة طاغية .

— كلا ، الخطأ الذى وقعت فيه هو الشك . . إنه هو الذى أحرقك .

— الشك يحرق العاطفة ولا يحرقها . .

— إذا كان شكاً يبدو من وقت إلى آخر وتخلله فترات من الطمأنينة ، ولكن الشك الذى بك دائم وقد نقلته من العاطفة وجعلته يشمل حياتك كلها فسممها ، وجعلك ما أنت عليه الآن . . أجبى بصراحة هل تصدقين أحداً من الناس ؟ هل تثقين فى أحد من الناس ؟

غام على وجهها الدكى سحب من ألم وقالت : لا أثق فى أحد ولا

أصدق أحداً .

— هكذا انسحب الشك في رجل إلى الشك في كل الرجال ، وانسحب الشك في الرجال إلى الشك في سائر الناس . . هل تثقين في عواطف أقربائك . . إخوانك أخواتك مثلاً ؟

— إذا أردت الحق لا أثق في أحد . . إن موقفي في الحياة هو موقف عجيب . .

— عدم المبالاة ؟ . .

— ليته كان كذلك . التي لا تبالي بالحياة تشعر بها وتتخذ منها موقفاً . ولكنني أشعر أنني غريبة عنها وكأنها ليست دنياي .

— ألا يمكن أن تسمردي ثقتك في الحياة والناس ؟ . .

— تمنيت لو استطعت . .

— حاولي . . اذكرى أنني أعطيتك وأعطيني أحياناً فترات من السعادة ربما لم تكن طويلة ، لحات . . والتي تستطيع أن تعطي لحظة صغيرة تستطيع أن تعطي لحظة كبيرة !

— ضع يدك في يدي . . المس بيدك جبيني . .

ووضع يده في يدها ومر بيده على جبينها ولكن وجهها ظل جامداً ونظرها خالية من الضياء والشعاع .

قالت : حالة ميثوس منها . قارن هذا بما كان يحدث فيما مضى ... الأفضل أن نناق . . لقد مات الحب .

— ربما ينبثق من جديد لشخص آخر .

— أرتاب في هذا كثيراً . أحس أن المعنى نفسه مات في قلبي .

— الحب لا يموت . ربما يموت لشخص معين ولكن من أؤكد أن ينبعث لشخص آخر .

— هل أنت واثق من هذا ؟

- لا ثقة لي في أى شيء يتعلق بالعواطف . . ولكننى ما أحسب فتاة لها مثل حساسيتك يمكن أن يموت الحب في قلبها .
- ولكنه مات . . حالة شاذة . . أليس كذلك ؟
- إنما يقرر هذا الزمن والأيام . . دعها تفعل فعلها . ما زلت واثقاً أن حبك في غفوة وسيصحو ذات يوم .
- تمنيت لو صبحا . . إن الفراغ قاتل . . أنت لا تشعر به . كما أن الامتلاء يقتل ، كذلك الفراغ .

الأغبياء السعداء

- قالت له : كأنك تحبني ؟
قال : ألا تصدقيني ؟
قالت : الظاهر يؤكد ، ولكن إحساساً خفياً في داخلي يقول « لا » .
— تؤمنين بالإحساس .
— هو عندي أصدق .
— كثيراً ما يكذب
— الحب ليس أقوالاً وأفعالاً ولكنه ديبب خفي في النفس .
— وهل اعتدت من إحساسك ألا يكذب ؟
— هكذا عرفتته
— ليست في الحياة قاعدة مطردة ، لا بد من الاستثناء . .
قالت : ولكنني أتبع إحساسى دائماً .
— حتى ولو خدعك ؟
— هو أصدق على كل حال من الاعتماد على الأقوال . الأقوال يتلاعب بها الناس .
— إذا صمت ، تستطيعين أن تعرفي ؟
واضطربت قليلاً قبل أن تجيب : بل تكلم . .
— ما فائدة الكلام إذا كان لا يبين ؟
— فيه الصحيح والزائف .
قال : هل أنت قادرة على التمييز بينهما ؟
— بإلهام المرأة .
— والرجل ، أليس له إلهام ؟
قالت : أنا أتحدث عن جنسى . . أجب أنت .
— لا أعرف على التحديد ولكن قلبي يقول لي إنك تريد أن تجربني

سحر أنوثتك .

— وهل في هذا عيب . . ؟ هذه هي المرأة .

— العيب أنه سلاح خطر . . .

— تخافه ؟

— أخاف السلاح ذا الحدين .

— أيهما تخاف منه أكثر . . ؟

— كلاهما . . الحدان . .

— ومن أجل ذلك تبتعد عن المرأة .

— وهي تقرب . . .

— إنك مغرور . .

— بل خائف . وفي أحيان كثيرة يصبح الخائف كالمغرور . . وفي

أحيان كثيرة يصبح الواثق كالمغرور .

— كلانا مغرور إذن . .

— أخشى أن يكون الأمر كذلك .. لا بد أن يكون أحدهنا غيباً حتى يحب .

— الحب غباء إذن ؟

— لا بد أن يكون فيه عنصر الغباء .. إن الذكاء — كالغرور — يفسده .

— لم أفهمك .

— ألم تقرني بعض ما كتب نثراً ونظماً عن الحب .. إنه ناطق بالغباء ،

غباء المحبين ، وهو شيء جميل . إن الحياة جميلة ، والحب — أجمل ما

فيها — محتاج إلى الغباء .

— قصدت التغاى ، أظن . .

— سميه كما تشائين . . إن الحب الذكي متعب .

— كل المحبين أغبياء إذن . .

— وهم لذلك سعداء

الجنس الثالث

نظر إليه في ابتسام وسأله أن يحكى له أمره معها ، قال : أعطيتها كل ما تريد . ما من شئ طلبته إلا أجبته . قدمت إليها أفخر الهدايا ، كل شئ . . .

— وبعد . . .

— أعلتني اليوم أنها لا تحبني وأنها تريد فسخ خطبتي لها . .

— هل تحبها ؟

— ولماذا خطبتها إذن ؟

— ليس من المحتم أن يحب الخاطب خطيبته . كثيرون يتزوجون من أجل المصلحة .

— أما أنا فتزوجت بقلبي ، ما ظننت أنها تعبت بي . اعتقدت أنها تحبني والآن تقول إنها لا تفعل . إنني لا أصدق . عندي شواهد كثيرة . — وهل الحب يحتاج إلى شواهد . إنه نبض في القلب والوجدان تحسه ولا تبحث له عن شواهد .

— تعني . . .

— أعني أن الشواهد تفسده ، وكثيراً ما خدعت . رأيت إلى امرأة تعطي زوجها كل الشواهد على الحب وهي لا تحبه . .

— ولماذا تفعل ؟

— لأن الزواج ضرورة اجتماعية ، المرأة محتاجة إليها .

— تخدعه . . .

— قد لا يكون خديعة ولكنه كما قلت لك ضرورة اجتماعية . . رباط الأولاد ، نظرة الناس ، الحاجة إلى الاستقرار ، السكون إلى بيت وزوج . . .

- هل هذه تصلح بديلاً عن الحب ؟
- تختلط به أحياناً . ومن هنا قلت لك إن الحب ليست له شواهد أو بتعبير أدق ليس في حاجة إلى شواهد ، وقد يكون عدم وجوده هو الدافع إلى إثبات وجوده ، ولذلك تتأكد شواهد .
- وكيف يمكن التفريق بين ادعاء الحب مع شواهد تؤكد ، وبين وجود الحب الصحيح دون الحاجة إلى شواهد ؟
- الذي يحب بصدق يتقبل منه شعاع غير منظور إلى قلب من يحبه . أما الذي لا يحب فيحتاج إلى تأكيدات ظاهرة عديدة تنفي الظن بأن الحب غير موجود .
- وتأمل قليلاً وهو واجم ثم سأل في خوف : تعني أن الظواهر لا قيمة لها ؟
- قيمتها تأتي مرتبطة بالإحساس الصادق بها . وفي الحب الصحيح يغني الإحساس عنها . . . وسكت قليلاً ثم سأله : ألا يجوز أن يكون السبب في انصراف الفتاة عنك أنك تلبّي كل طلباتها ؟
- وتولته دهشة وقال وهو مبهور : حسبت أن هذه هي السبيل إلى إرضائها .
- المرأة تحب الرجل العصبى . . . تحب أن تصطدم إرادتها بإرادته ، تحب الصراع للظفر به تأكيداً لسلطانها ، وتحب أكثر من كل شيء الهزيمة أمام إرادته . . .
- ولكنها تغضب . . .
- تغضب وتملأ الدنيا صياحاً وفي قرارة نفسها تلمس حلوة الضعف أمام قوة الرجل .
- أنت تحيرنى . . .
- لا حيرة في الأمر . خضوع رجل يزهدا فيه والصراع معه يدكى عواطفها . إن المرأة مخلوق متناقض .

— والرجل ؟

— متناقض أيضاً ، ولكن التناقض في المرأة أكثر ظهوراً ، لأنها الأضعف .

— تعني أن المرأة القوية تكون أقل تناقضاً ؟

— لا توجد امرأة قوية ورجل قوى في العلاقات بين الجنسين ولكن يوجد رجل وامرأة لكل منهما خصائص جنسه . .

سأل : والغموض الذي يحيط بالمرأة ؟

— بعض خصائص المرأة وقد كسبته لطول ما خضعت للرجل ، وسرى في المستقبل أن هذا الغموض سيختفي بحكم التطور الحادث في العالم اليوم وهو اقتراب الجنسين في الحقوق وتقرير المساواة بينهما ، ألم تسمع ما يقوله بعض العلماء والمفكرين من أنه سينشأ جنس ثالث . .

وفتح فمه دهشة : جنس ثالث . . ماذا تعني ؟

— أعني جنساً ليس فيه خصائص المرأة كما تعرفها ، جنساً وسطاً تذهب منه الرقة ويقل الغموض والسحر وتنشأ فيه خصائص جديدة كالعقل الصريح والفكر الثاقب . . .

— عقل ، وهل الرجل محتاج إلى عقل ؟ عنده منه ما يكفي ، الحياة تصبح ثقيلة .

— أنت تشكو الآن من الغموض ، سيذهب الغموض .

وفكر قليلاً ثم قال : ولكن الوضوح أيضاً ثقيل . .

— أرايت . . سأقول لك شيئاً آخر سينشأ جنس جديد من الرجال . .

— أنت تبالغ . . .

— لا مبالغة كما تظن . . قارن بين رجل اليوم وبين رجل الغابات

مند مئات الألوف من السنين ، أليس الرجل الآن نوعاً جديداً . . ؟

— ولكن الخصائص الأساسية باقية . . .

- ليس كما تظن . كانت القسوة وقوة البدن تأسران المرأة فيما مضى ،
والآن يأسرها العقل الذكى . . .
- والرجل ماذا يجذبه إلى المرأة . . ؟
- فيما مضى كان الجسد وحده والآن الجسد والفهم الذكى . .
- هل المرأة الذكية أفضل ؟
- الذكاء جمال أيضاً . .
- ولكن الغيبة أسلس قياداً . .
- كان هذا رأى رجل الغابة أما الرجل المتحضر ، فيؤثر المرأة
الذكية . . .

- تتعبه .
- والغيبة تتعب أيضاً .
- بل تريح . . .
- تريح الرجل الذى يريد أن يتسلط ، لا الذى ينشد المشاركة . .
- وتريث قليلاً ثم قال : خرجنا عن الموضوع . .
- وما هو الموضوع ؟
- فتأتى التى تريد فسخ خطبتها .
- دعها قليلاً ، إنها نزوات المرأة . .
- تعنى أن أهل طلبها ؟ . .
- كلا ، قل لها إنك متفق معها تماماً فى وجوب فسخ الخطبة ،
وسترى أنها ستراجع . إن المرأة تحب الرجل القوى .
- وبدا أنه يضيق بكلام صاحبه ، وقال محتجاً : تعنى أنى لست
رجلاً قوياً ؟
- لم أقل هذا ، ولكننى أضع قواعد عامة . .
- وسأل : وماذا يكون الأمر لو وافقت على فسخ الخطبة . . ؟

- أنا واثق أنها ستوافق أول الأمر لكي تختبر مدى جديتك فإذا
لحقت أنك مصمم فثق أن موقفها سيتغير .
— وإذا لم يتغير ؟
— اعرف حيثئذ أنه من الخير لك ولها أن تنفصلا .

ظل الرجل على المرأة

- قال لها : ستزوج بعد أن أجد عملاً .
قالت : أنا أعمل وأكسب . مرتبي يكفي أن نعيش إلى أن توفق إلى عمل .
— لا أشعر أنني كفء لك ما لم أكن أقوى منك . والعمل لديك
قوة . وفقدانه عندي ضعف . .
— ولكننا شركاء نتعاون .
— ولكنها شركة سيكون فيها قوى وضعيف .
— ومن قال ذلك ؟ . هل بين الزوجين قوى وضعيف .
— نظرياً الجواب بالسلب . أما واقعياً فالجواب بالإيجاب . نعم يوجد
فيها قوى وضعيف . ستسأمين ذات يوم أنك تنفقين على رجل . .
— ولكنه زوجي . .
— حتى لو كان زوجك . .
— وأنت قد تنفق في المستقبل على ، إنه تعاون . . .
— إذا أنفقت عليك ، لا أجد غضاضة . . أما إذا كان الإنفاق
منك فهنا الغضاضة .
— أنت تنظر إلى المرأة كأنها الأدنى . . .
— كلا ، ما نظرت إليها قط كأنها الأدنى . . نظرت إليها دائماً كأنها
الأضعف . . أنت نفسك بحكم أنوثتك تحيين أن تكوني الأضعف ويكون
زوجك الأقوى . .
— كان هذا فيما مضى حينما كانت المرأة لا تعمل . . . أما الآن فلم
يعد لمثل هذا الظن حساب .
وسكت قليلاً ثم قال : أنت متخرجة في كلية الآداب فهل تقبلين أن



تتزوجى شاباً لم يحصل فى تعليمه إلا على شهادة متوسطة ؟
وترى قليلاً ثم ترددت وتلعثمت وجازفت قائلة : إذا كنت أحبه .
— وهل تستطيعين أن تحبيه ؟ . . تستطيعين أن تحبى رجلاً أقل منك
ذكاء وتفكيراً وشخصية ؟ . . تذكرى لقد رفضت غيرى ممن تقدموا إليك
وكان السبب هو ضعف مستواهم العلمى .
— وماذا فى هذا ؟

اعتدل الشاب فى جلسته وقال : سأوضح لك الأمر . . أنا أستطيع
أن أحب فتاة متوسطة التعليم مع أنى أكملت تعليمى وحصلت على شهادة
جامعية . . بل لعلى كنت أفضل أن أفعل هذا حتى أشعر دائماً أنى
الأقوى .

وانزعجت الفتاة بعض الشيء وتساءلت : ماذا تقول ؟ . . كنت
تفضل فتاة متوسطة التعليم . . لا تحبى إذن . . .
— لا أعنى بكلامى ما بدر إلى خاطرك . كل ما أردت قوله إن الرجل
يمكن أن يحب فتاة أقل منه مستوى فى التعليم أو العمل أو الكسب ولكن
المرأة لا يمكن أن تحب رجلاً أقل منها فى التعليم أو العمل أو الكسب .
وحدقت فيه ثم قالت : إذن لا ترضى أن تعمل إلا بمرتبة يفوق مرتبى . .
— هذا هو تماماً . . لقد عرضت على أعمال كثيرة ولكنى رفضتها
لأنها فى مستوى عمالك . أريد عملاً أكبر . .

— أنت تفكر بطريقة مقلوبة . . .
— بل أفكر بطريقة صحيحة . . أنت الآن فى نشوة الحب والزواج .
بعد قليل ستبدأ مشكلات الحياة فى الظهور .
— أنت لا تقدر عواطفى ، إننى أحبك . .
— وأنا أفعل هذا لكى أحفظ بحبك .

— كى تحتفظ بحبى هل لا بد أن تكون أفضل منى ؟

— هذا تعبير غير دقيق . . . لست أفضل منك ولا أريد ، ولكننى أريد أن أكون أقوى منك عقلاً وتفكيراً وعلماً وكسباً . . .
— هذا التفكير ميراث نظم قديمة .
— لا دخل له بالنظم . . . إنه يرجع إلى طبيعة المرأة . . . والمرأة تحب الرجل الأقوى .

— هذه حقيقة لا أنكرها ولكنها ليست طبيعة لا يمكن تغييرها . . .
لقد نشأت من النظم القديمة التى وضعت المرأة دائماً فى وضع الإنسان المعتمد على الرجل مادياً وأدبياً والآن ذهبت فكرة الأقوى والأضعف .
— أشك فى هذا، فى البلاد التى بلغ التطور فيها مداه وتساوت المرأة بالرجل فى كل شيء لا تشعر المرأة بالحب الصحيح إلا للرجل الأقوى .
— وكيف يكون الامتياز بالقوة مع التساوى فى الحقوق .
— يكون الامتياز فى نطاق هذه الحقوق ذاتها . . . فى التعليم يوجد العقل الناضج المتفوق والعقل الأقل نضجاً وتفوقاً وفى العمل كذلك يوجد العامل المبدع المنطلع والعامل الأقل إبداعاً وتطلعاً . . . إنها طبيعة فى المرأة لن تغير منها النظم والحقوق شيئاً .

— أنت لا تؤمن بالتطور إذن . . . تؤمن ببقاء الغرائز والطبائع على حالها أو بإمكان بقاء بعضها على الأقل . . .

— كلا أنا من أشد الناس إيماناً بالتطور فلا بقاء لشيء على حاله حتى ولو كان غريزة أو طبيعة ولكن التطور فى بعض الغرائز والطبائع يكون فى الأسلوب والمستوى ، وليس فى جوهر الطبيعة أو الغريزة . . .
كانت المرأة فيما مضى تعجب بقوة الجسد وتناسب العضلات ، حينما كانت القوة البدنية هى سبيل التفوق فى المجتمعات البدائية، فلما ارتفعت هذه المجتمعات تحول الإعجاب إلى القوة العقلية وتفتح الذهن والقدرة على الخلق والإبداع . . . وأسألك الآن لماذا آثرتنى أن أكون زوجك ؟

- لتفوقك العقلى . .
 - هل تحسبن أننى أقوى منك عقلياً وذهنياً . .
 قالت : هل لابد أن أعترف بأنك أقوى . . ألا يكفى أن . .
 ولم يدعها تم جملتها وسارع قائلاً : رأيت . . أنت تعملين وأنا
 بعد لم أوفق إلى العمل الذى أريد .
 وقاطعته : أنا واثقة أن إنساناً متفوقاً مثلك لابد أن يجد العمل المناسب
 له . . نتزوج أولاً . . .
 - كلا لا أرضى وأنت بينك وبين نفسك لا ترضين . . أنت تتعطفين
 على وأنا أكره العطف وخاصة من المرأة التى أحبها . يجب أن يكون العطف
 منى أنا . . الأقوى .
 واقتربت منه مغمضة العينين وقالت : أنت تأسرنى . . تجعلنى أشعر
 كم أنا ضئيلة . . كم أنا سعيدة . . نخذ رأسى على صدرك . . دعنى أشعر
 بهناء الراحة ، هناء الملاذ الأمين .
 ووضع رأسها على صدره وأدنى وجهه من وجهها وهمس فى أذنها :
 هذا هو ظل الرجل على المرأة .

أنا شيء والمجتمع شيء آخر

- سألها : وما هي نهاية هذا الحب ، إنه بلا أمل . . .
- قالت : إن الحب ذاته نهاية ، إنه غاية : أنت تنظر إليه كوسيلة .
وأنا أعيش فيه كآخر المطاف .
- قال : هكذا دون اتصال ، دون عيشة كاملة ، دون أولاد ، دون بيت .
- قالت : لا أفكر في شيء من هذا ، إنني أحب وكفى .
- قال : ستسأمين الحب .
- قالت : لن أفعل . إن النظرة في عينيك متجددة . حديثك يبعث في نفسي الدفء . . منذ عشر سنوات ولم أسأم ، من يدري لو تزوجنا ماذا كان المصير يكون ؟
- قال : إذن أنت تخافين على الحب من الزواج .
- قالت : ليس هكذا بالضبط . إن الحب عندي شيء متكامل .
وهو عندك شيء ناقص يكمله الزواج . . هل أدركت الفرق ؟
- قال : لم أسمع هذا الرأي من قبل ، كل من يحب يفكر في الزواج . .
- قالت : وإذا لم يكن مستطاعاً ، هل تقتل الحب ؟
- قال : هذا شيء آخر . لقد قلت الآن إن الحب شيء متكامل .
ومعنى هذا أنك ترفضين الزواج بمن تحبينه ، حتى ولو كان الزواج مستطاعاً .
- قالت : هذا هو ما قصدته . إنني أخاف من زوايج الزواج على هذا
النبت الرقيق للعذب ؟ ماذا ينقصك ؟
- قال : ينقصني أنت ، ينقصني أن تكوني في بيتي وأماً لأولادي .
- قالت : هذا الذي ينقصك هو الذي يغذي نبات الحب . إنه

لا ينمو ولا يعيش إلا في الحرمان ، وإنى لأسألك كم عدد الذين تزوجوا ثم دام الحب بعد الزواج ؟

قال : لا أستطيع أن أجيب ، ليست لدى إحصائيات . .
قالت : أنا لا أطلب منك إحصائيات. اذكر معارفك ممن تزوجوا بعد حب ، وأجب .

قال : ولكننى أريد أن أكون أباً ورب بيت .

قالت : تزوج بمن تشاء ، إننى لا أمانعك .

قال : ومع ذلك تزعمين أنك تحبيننى .

قالت : بل لأننى أحبك أقول هذا .

قال : وأنت أتنوين الزواج ؟

قالت : طبعاً .

ودهش الرجل وهو ينظر في عينها الحالمتين وقال : أتعنين ما تقولين؟

أجابت : بعد أسبوع ستعلن خطبتى .

قال ثائراً ساخطاً : أنت تلعبين بعواطفى . إنك تحرقيننى . أنت

تتلهين . . أنت فتاة شاذة . سأحول دون هذا الزواج بكل ما أستطيع . .

لن تكونى لرجل آخر .

قالت فى هدوء : هذا صحيح ، لن أكون لرجل آخر ، ولكننى

سأتزوج رجلاً آخر . .

قال وهو يكاد يحترق من الغيظ : إننى لا أفهمك . . لأول مرة أشعر

أنك غامضة . . أنك تتكلمين كما لو كان كلامك ألغازاً .

أجابت : ليس هناك ألغاز . إن الحب الذى أريده ، هو الحب

الذى يثير الزوابع والغیظ والخوف والقلق واللهفة ويكون الحرمان عنصراً

فيه . تصور لو أنى وافقت على الزواج منك ، ماذا كان يحدث ؟

قال : ما يحدث فى كل زواج .

قالت : وهذا ما لا أريده . ستأخذني بين ذراعيك ، ستضمني إلى صدرك . ستملكني ، وبعد أيام أنحول إلى شيء عادي . شيء تراه كل يوم وقد تضيق به .

قال : ولكن هذا هو ما يفعله الناس .

قالت : وهل هم سعداء ؟

قال : فيلسوفة أنت أم امرأة تحب ؟

قالت : بل امرأة تحب وتخشى على حبها أن يموت . إنني أدافع عنه في وجه كل إنسان ، في وجه المجتمع ، في وجه التقاليد ، في وجه السخافات التي لا حد لها والتي تفسد كياننا وحياتنا وتجعلنا مخاوقات مملة تافهة تأكل وتشرب وتنام وتنجب الأولاد ، ثم تموت .

قال : كأنك لا تنوين أن تموتي .

قالت : سأموت ، ولكنني أريد أن أعيش ولا أستطيع أن أعيش في برود . إن الحب هو حياتي الحقيقية وليس الزواج . سأتزوج كما أكل وأشرب وأذهب إلى لاسيما وأشتري فستاناً وأعقد صديقة . سأبحث الأمر في هدوء . وشعر الرجل كأن خنجرأ مسموماً يدخل قلبه وقال : أنت لا تحبين إلا نفسك . إنك تريدين الحب رمزاً لاقتال الرجال عليك ، تريدين أن تعذبني إنساناً وتخدعي إنساناً .. تريدين أن ترضي نزواتك ولا شيء آخر . قالت : لن أخدع أحداً . إن زوجي المنتظر لا يحبني . لقد جاء يطلب زوجة . وبحسب الأمر بعقله تماماً كما أبحثه . يريد زوجة جميلة غنية متعلمة تنجب له أولاداً وتوث له بيتاً . لن أقول له إنني أحبه ، كما لن أقول لي ذلك . ولو قال فلن أصدقه . لقد رأيته مرة واحدة ، مرتين ، وكان الحديث عن الخطبة والزواج والأسرة والأولاد والبيت . . هل هذا حب ؟ هذا زواج ، صديقة ، عمل يرضى عنه المجتمع ويباركه ، ولا دخل لي بالمجتمع ، إنه شيء وأنا شيء آخر . .

تجربة لم تصادفه

قال لها : عيناك لم أر سحراً مثلها .
قالت : هما اللتان جذبتاك إلى . . .
قال : هما وغيرهما . . . إننى أحبك ، وسأظل . . .
وسألته فى مكر وإغراء : حتى ولو لم أكن أحبك . . . حتى ولو عدلت
عن حبك فى يوم من الأيام .

وسكنت بينا افتر ثغرها عن ابتسامة غامضة ساحرة . . وتأملها الرجل
وهو مشفق على نفسه من هذه الفتاة العجيبة التى حيرته . . لماذا يرتبك
أمامها وهى ليست أكثر جمالا من غيرها ولا أكثر ثقافة ولا أكثر ذكاء .
إنها لغز . . لغز محير . . وأفاق من تأملاته مسرعاً وحاول أن يدنى أذنها
من فمه لكى يهمس فيها ، ولكنها ردتة فى رفق وابتسام وقالت : تكلم
أنا أسمعك .

ورأى أن ينقل المعركة إلى جبهة أخرى . . إنها تهاجمه . . ترتاب
فيه وتعرف الكثير عنه ، فيما يبدو ، فلماذا لا يهاجمها هو . . لماذا لا
يسأل ويكون عليها أن تجيب . . قال فى مكر مماثل لما تصوره من مكرها :
إنك تسألينى ، كما لو كنت مجربة . . إننى أخاف المرأة المجربة !
ولم تشأ أن تفقد ميزة المبادأة وأدركت حيلته فى نقل المعركة وقالت
فى هدوء : الذى يخاف المرأة المجربة رجل ضعيف . .

واستثارته العبارة واستثاره الوصف وبدأ عليه الغضب ، وشعر أن
المرأة انتصرت عليه بمكر أشد من مكره . ها هى ذى الآن ترميه بأنه
رجل ضعيف ، هل هو ضعيف حقاً؟ ومر شريط طويل سريع خاطف
من اللفتيات اللاتى عرفهن وأحس إحساساً بهما أن كلامها عن ضعفه

يمكن أن يكون صحيحاً ، وأخذ هذا الخاطر يتسلل إليه طاغياً مدهراً ، ولكنه أوقفه حتى لا ينهار أمام هذه الشيطانة . . وسرعان ما اكتسى وجهه بسمة ساخرة واصطنع شيئاً كثيراً من الهدوء . . وقال : أنت مجربة إذن ؟ أطلقت ضحكة فيها إغراء وغموض وسخرية ، فيها امرأة ناضجة فاهمة معتدة بأنوثتها أمام رجل لمحت تماماً أنه يتهاوى ، وأن زمامه أصبح بين يديها وقالت : هربت من السؤال . . لنسلم أنني مجربة فلماذا لا تنتصر بتجربتك على تجربتي . . ثم لا تنس أن المرأة المجربة أثمن في موازين النساء من المرأة الخام .

وسكنت لحظة ثم استطردت مسرعة : ولكن لماذا لا تكون الغريزة الصحيحة مساوية للتجربة الكبيرة . . هل لا بد من التجربة للمرأة حتى تعرف الحب الصحيح من الحب الزائف . . ألا يمكن أن تعرف بإحساسها ، بغريزتها ، بصدق فراستها ؟ قال وهو يزداد شعوراً بالضعف : التجربة ضرورية لاستكمال لمحات الغريزة .

قالت وهي تشعر بأن القوة في جانبها : ولكن ماذا تعني بالتجربة ؟ قال في سرعة : أن تكون المرأة عرفت رجالاً آخرين . سألت في هدوء : وماذا تعني بالمعرفة ، هل هي التي سعت إليهم ، أم أنهم هم الذين حاولوا إغراءها . أجاب : الأمران سواء .

— حسناً . . وهل لا بد للتجربة أن تبلغ غايتها . . ألا تكفي مثلاً محاولات الإغراء . . وما هو حادث بيني وبينك الآن . . هل تعده تجربة ؟

ثم استطردت : إذا تكرر مثل هذا بالنسبة لي مع آخرين وتكرر بالنسبة لك مع أخريات ، تعد أنت وأعد أنا فتاة ذات تجربة .

أجاب في تردد : نعم .

هاجمته بسؤال سريع : وهل تنكر أنك حاولت مثل هذا مع أخريات ؟
وفي قوة طارئة واجهها هو الآخر بسؤال مشابه : وهل تنكرين أنه
حدث لك مثل هذا مع أخيرين ؟

وقال : أجبني أنت أولاً .

قالت : أجب أنت أولاً . . أنت رجل والمفروض أن مثل هذه
التجارب لا تشينك .

سكت مضطرباً متلعناً ولم يعرف كيف يجيب .

ضحكت الفتاة في اعتزاز ، وقالت : أنت جبان وأنا لا أحب الرجل
الجبان . . لا كن أنا أشجع منك فأقول لك إنه حصلت لي تجارب عديدة
مع رجال مثلك . . حاولوا أن يغالوني ويصلوا إلى قلبي بإطراء جمالي . .
وكان بعضهم صريحاً فقال إنه يحب جمالي وإنه أخذ به ولكنه لا يعرف
إذا كان يحبني أم لا . . وشكرت لهم صراحتهم واحترمتهم ولكني لم
أحبهم . وأكد لي آخرون أنهم يحبون جمالي ويحبونني ولأنهم يعجبون
بخلق وسلوكي وفهمي وذكائي ، وعند ذلك سألتهم السؤال الذي أطرحه
عليك أيضاً : هل تحبني مثلهم أو مثل الصنف الأول .

أجاب من غير تردد : بل أحب جمالك وأحبك وأعجب بخلقك
وذكائك وسلوكك وفهمك .

وابتسمت الفتاة في سخرية وإغراء وضعف قوى . وقالت : وسأوجه
إليك السؤال الذي وجهته إليهم .

وازداد اضطراباً ، ولكنه لم يجد وسيلة إلا أن يسكت انتظاراً للسؤال .
واستطردت الفتاة وهي تعبت بنحصلات من شعرها قالت : وماذا بعد ؟
سألها : لم أفهم ماذا تقصدين ؟

أجابت في هدوء وثبات : أعني ماذا بعد الحب الكامل الذي تدعيه .

قال في بلاهة : فحب بعضنا .

قالت : وماذا بعد ؟

قال : نستمر فيه .

— في ماذا ؟

— في الحب . .

سكتت الفتاة برهة ثم قالت : أنا فتاة جميلة ذكية قوية الفهم
حسنة الأخلاق لا تستطيع أن تستغنى عني ، هذا هو كلامك . . أليس
كذلك . .

أجاب : نعم .

قالت : وماذا تشترط في زوجتك المقبلة ؟

تهاوى الرجل وانكمش ، وأحس أن صاعقة نزلت عليه فألحمت
لسانه . . وقال وهو متلعثم : تتحدثين عن الزواج إذن ؟
سألته : وأنت عم تتحدث ؟

أجاب : عن الحب .

سألته : وهل هناك تنافر بين الزواج والحب ؟

قال : لا يوجد تنافر . . ولكن هذا ليس موضوعنا .

— موضوعنا إذن تجربة تضيفها إلى تجاربك .

— أنا أحبك !

— أنت كاذب . .

— أقسم . . .

— لا تقسم .

— أنت فتاة عجيبة .

— بل فتاة فاهمة . .

ونهضت في تصميم وقالت له : هذه تجربة ما أحسب أنها صاذفتك .

المكاشفة

قال لها : ما يزال هواك مع صاحبك القديم . .
قالت : بل معك أنت وحدك . . أما هو فله عندى حرمة الوفاء
للكرى .

— كيف يموت الحب وتبقى الذكرى ؟
قالت : إنه لم يموت ، لا يوجد شيء في الحياة يموت . .
— أتقابلينه ؟

وأجابت في وجه كسيف مذبذب : نعم . . .
— وتبادلينه كلمات الحب ؟ . .
— هو الذى يقول . . .

— وأنت ؟
— مجرد مستمعة . . لا أستطيع أن أقول شيئاً لا أحس به . . أنت لا
تعرف هذا الرجل ، إنه يبدو أمامى طفلاً . . أنا أم له . . معه أيضاً لا أفكر
إلا فيك . . .

— امرأة مزوجة الشخصية ا
— قل ما تشاء . . أنا التى أسأت إليه ، إنه لا يزال يحبني يقول :
« لو تركتني فساموت ، لا تتخلي عني » لا أريد أن أكون قاتلة . . لو
عرف أنني لم أصبح أحبه فسيموت . .
— أنت منافقة . . .

— النفاق قد يكون في كل شيء إلا في الحب . .
— أنت بقدرة قادر حققت النفاق في الحب . .
وقالت في هدوء : تقبلني كما أنا ، لا أستطيع أن أسىء إلى من لم يسئ إلى ...

ونظر إليها في تأمل وقال : ليس ما بك حبا . . أنت لاتحبين ،
تطبيقين قواعد الأخلاق .

سألته : وهل الحب ينافي الأخلاق ؟
وأوقعته في حيرة ، وسكت فترة ثم سأل بدوره : وهل من الأخلاق
أن تحبي شخصاً آخر غير من أنت مرتبطة معه بالحب ؟
وأحسست بادل وهي تقول : لا يدلي في عاطفتي . .
ولاح له أنه أصبح سيد الموقف وقال : إما أن تكون العاطفة حرة وإما
أن تكون مقيدة بقواعد السلوك والأخلاق .

— العاطفة الحرة مجنونة . . لا بد لها من رابط أخلاقي . .
— حسن ، أنت أسأت إلى الأخلاق بتركك لصاحبك وأسأت
إلى الأخلاق مرة أخرى في احتفاظك به . هذا تناقض . . هل لديك
حل لهذا اللغز .

— ليس في الأمر لغز . الأخلاق تخفف من جموح العاطفة ولكنها
ليست إطاراً لها ومن يدري لعلى لم أحبه أبداً . لعل ما كان بيننا مجرد
عطف متبادل اتخذ صورة الحب . كنت غريرة في حاجة إلى الحنان
وأعطاني الحنان فحسبت أنه الحب . . هذا هو تصويري للموقف . .
واستشاط غضباً وقال : ومن يدري أنك بعد قليل أو كثير تكتشفين
أن ما بيننا أيضاً ليس حباً ، وأن عاطفة ثالثة تبدو لك كأنها الحب ،
حبثند سيصبح عليك واجب أخلاقي مضاعف . . تحتفظين باثنين تمثلين
معهما دور الحب ، وتعيشين مع ثالث تجربة حقيقية . .

وردت في برود : من يدري لعل هذا يحدث . . إنني لا أفهم
نفسي جيداً . . هل تفهما أنت ؟ كل ما أحس به أنني لا أستطيع أن
أستغنى عنه ولا عنك . لقد كنت أمينة معك . أفضيت إليك بالحقيقة .
كان في استطاعتي أن أخفيها عنك .

- وهل أفضيت له هو أيضاً بالحقيقة ؟
- كلا ، حجبها عنه
- هذا تصرف غير أخلاقي
- أعترف أنه كذلك . إن ما في نفسي له وفاء واحترام للذكرى ..
- افهمني إنني أحبك أحبك أنت . . .
- وفرت من عينها الدموع ، وهممت : أنت قاس . . لا تفهم عواطف المرأة . كشفت لك نفسي لأنني أشعر أنني أحبك وحجبها عنه لأنني لم أعد أحس له بالحب . والحب هو المكاشفة . . كنت أظنك أوسع أفقاً ، إن الذي يحب يتسامح . . . يغفر .
- وسكنت ريثما مسحت دموعها ، واستعادت هدوءها واستطردت :
- أنت لا تعرف ماذا صنعت . . حاولت أن أتخلص منه ، ولكنه تشبث بي وبكى بين يدي كالطفل . . ألم أقل لك إنه يعطيني الشعور بالأمومة . . وأحس نحوها بالرتاء وقال : أنت تعسة ضائعة لا تعرفين نفسك .
- ليس لعواطفك استقرار ، ما زلت مراهقة . . .
- وعذبها الوصف وسأله في ضراعة : أتراني كذلك ، أليس في مقدورك أن تستولي على أكثر . . أنت لم تقل لي قط إنك تحبني وهو يملأ أذني بحديث كنت أتمنى أن أسمعه منك أنت . . حقاً إنني تعسة . الفم الذي أريده أن ينطق بالحب لا ينطق والفم الذي أريده أن يسكت عنه لا حديث له إلا عنه . . أنت تضيعني . . دعني أواجهك بالحقيقة ، أنت لا تحبني ، ولو كنت لكففت نفسي عنه وعن كل الناس .
- احتياطي « استبن » . . المسألة ليست مسألة أخلاق إذن .
- وضحك في سخرية بينما ازدادت دموعها انهماراً ثم تمت : أنت الذي أحبه ولكنك . .
- وشرقت بدموعها وسكنت ، ثم انطلقت فجأة : بل هي أخلاق أيضاً

حقيقة لا شك فيها

الزهور كثيرة والعطور تملأ المكان والموسيقى تصخب ، الرقص يدور ،
الساق مع الساق ورمش العيون مع بسمات الصفاء . وهمس الشاب في أذن
الفتاة : أسعدتني . فما زادت على أن امتلأت عيناها بالشعاع . ودار
بها هنا وهناك حتى انتحى بها مكاناً قصيراً ، وهمس مرة أخرى : أحلى ليلة
في عمري أعبدك . . . متى نلتقي ؟

وانتهى الرقص وجلسا ، الفتاة مبتسمة دون أن تجيب

قال لها : حيرتني

قالت : ولم الحيرة ؟ . . .

— أكشف لك نفسي فتصمتين .

— إن من الصمت لجواباً . .

— أفهم من هذا . .

وتوقف ، فسارعت تم الحديث : أفهم ما تشاء . . .

ونهضت منفلتة منه في رشاقة . . حاول أن يستبقها ولكنها كانت قد

مرقت في الزحمة وجلس كسيراً كأنه وحيد بينما الصالة تموج . ودعته

فتاة أخرى بإيماءة فذهب إليها .

قالت : لماذا تركتك ؟

واحتار بماذا يجيب وأنقلد الموقف متسائلاً : من هي ؟

ولكن وجهه الممتقع لم يكن خافياً .

— لا تعرفها ؟

— من هي ؟

— الفتاة التي كانت تراقصك . .

- آه . . أعرفها بالطبع . . لكن ماذا يعنيك من أمرها . .
 — لا شيء سوى أنها لا تستحق الاهتمام
 — وأنا أراها كذلك . . ترقصين معي ؟
 وبينما كانا يدوران مع الموسيقى كان الشاب تائه النظرات يبحث عن
 صاحبه الأولى ولحها مع شاب آخر يعرفه وهما يتحدثان في انسجام وانطلاق .
 واهتلا بالغيظ واضطربت خطواته في الرقص ، وأدركت رفيقته موقفه . .
 همست : إنها تشغلك ، لا تنكر . . ضايقت أنها تركتك . .
 — وماذا يضايقتني ، كانت مجرد رفيق في رقصة . . .
 — إنها أكثر من هذا . .
 قال وفي لهجته الملل : وأنت ماذا يعنيك في الأمر ؟
 — تتعلق بحبال داييه ؟
 ولم يفهم أو بداه أنه لا يريد أن يفهم ، وحاول أن يبدو مستهيناً
 بالأمر ، ولكنه لم يستطع قال مندهشاً :
 — حبال داييه . . .
 وجاءه الرد فيه التشفي : تحب غيرك ، مشغولة !
 وسكتت برهة ثم استأنفت كلامها الهامس : منذ وقت طويل أشكر فيك . .
 — أنت ؟ . .
 — نعم أنا . . .
 وأصابها خيبة مرة أن لم تلمح استجابة منه ورأت أن تثار لنفسها
 فقالت ساخرة : نعم أنا . . ألا تصدق يا روميو . .
 ثم تركته وانصرفت .

* * *

وعاد الشاب إلى بيته في منتصف الليل وأخذ يراجع حياته وسأل
 نفسه لماذا انصرفت عنه الفتاة الأولى ولماذا سخرت منه الثانية . كان حتى

الآن غازي نساء من الطراز الأول فماذا دهاه ؟ هل العيب فيه أم العيب في الفتاة وصاحبيتها . . هل بطل سحره أم أن الفتاة وصاحبيتها فوق مستواه ؟ وأعاد النظر وأدمن التفكير ولم يوفق إلى جواب يرضيه فنام يائساً . أخذ النوم من دوامة لا تطاق .

* * *

فلما كان الصباح دق التليفون للفتاة الأولى قال : لماذا تصرفت معي بهذه الحشونة في الليلة الماضية..

جاءه الصوت رزيناً هادئاً : هل ظننتني كبقية الفتيات الفارغات.. قال : ولكنني لم أفعل شيئاً أستحق عليه اللوم . . — اسمع إن للمسألة تاريخاً . .

— للمسألة تاريخ ! !

— نعم كنت أحسن الظن بك وأراك شاباً جاداً طاهر العواطف على الرغم من كل ما سمعته عنك . وأكدت صديقتي أنك على العكس من ذلك ، تغازل كل الفتيات وتحاول أن تعبت بهن . وتحديثها قالت جربي وكانت التجربة مع الأسف ضدك .

— ولكن هل المصارحة بالعواطف جريمة . . .

— لم تكن مصارحة بعواطف . كانت غريزة تحركك وأنت ترقص وتحركك وأنت تتكلم . كانت محاولة للإغراء . . لا يمكن بعد مرة أو مرتين ألتقي بك فيهما أن تعاملني هكذا . . . هل تعرف معنى الحب ؟ ارتبك الشاب وجف ريقه : أعرفه حتماً . . شعرت به معك أنت . — نفس الكلمات . . شعرت به مع كل واحدة (وضحكت ساخرة) أليس كذلك ؟

— أقسم . . .

— كلا لا تقسم . . لست آسفة لما فعلته بقدر أسنى لأنني وثقت فيك .

— ولكن .

— ولكن ماذا ؟ . . . تعلم أن تسمو بغريزتك وعاطفتك . لقد تعلمت وبلغت أرقى الدرجات العلمية ولكن عاطفتك لا تزال في طفولتها . . . عاطفة الغابة ، الإنسان البدائي . . هل تعرف أن النضج الذهني شيء والنضج العاطفي شيء آخر ؟

وزادت حيرة الشاب وزاد في الوقت نفسه احترامه للفتاة وأحس فعلاً أن عاطفة جديدة تولد في قلبه بل أحس كما لو كان يتطهر من ماضيه ويشرق عليه تفكير جديد ، وشعر بما هو أفسى ، شعركم هو ضئيل أمام هذه الفتاة هو الذي سيطر في كل الأحوال . .

قال في شبه خوف : أنت علمتني درساً لن أنساه . . هل تحتقريني ؟ — أنا لا أحتقر أحداً ، أنا أرى لك ، أرايت إلى التعليم كيف يوسع الآفاق ، ويعمق النظرة ويجعل للأشياء والأشخاص والحوادث أبعاداً جديدة لا يراها الجاهل ، كذلك النضج العاطفي يجعل للعاطفة أبعاداً وأعماقاً لا يحسها من لا تزال عاطفته في طفولتها . . . أرايت إلى التعليم يجعلك تنأى عن اللفظ النابي والعبارة الجحافة والتصرف الخشن كذلك يفعل النضج العاطفي : لا يقبل التعبير الخشن ولا المغازلة الفجة ولا الحركة الجارحة . . . وكل أولئك فعلته أمس في نصف ساعة ، في أقل من نصف ساعة . كان في قلبي ميل إليك . . ليس على التحديد ميلاً ، كان على الأقل صفحة بيضاء مستعداً أن يحسن الظن فيك ويراك نخامة حسنة لرجل تنشده المرأة ، فكشفت كم كنت مخطئة . . والآن أقول لك إلى اللقاء . . أضعت وقتك ، سامحني إذا كنت قد أسأت التعبير عن نفسي . .

— ستركييني ، ولكنني أريد المزيد من حديثك . شعرت الآن أنني أمام امرأة جديدة ، فتاة استطاعت أن تكشف في نفسي ضعفها وفي عاطفتي طفولتها . أصارحك أنني دخلت في عشرات العلاقات مع فتيات ،

- ولكننى شعرت فى كل مرة بالضياح
- لا يمكن إلا أن تأخذ بمقدار ما تعطى . لم تكن تعطى أى واحدة
منهن عاطفة . . كانت مجرد رغبة فى اللهو وحديثك عن العاطفة كان
مجرد ستار تخفى وراءه غرضك . . كان الطرق الخفيف الرقيق ليفتح الباب
فإذا انفتح لم تجد شيئاً لأنك لم تحاول أن تعطى شيئاً .
- العيب فى الفتيات اللاتي استمعن لى
- هل الضحية تلام والذئب يكون البريء . . . لا تتزعج من تعبيرى .
- لم أكن أغريهن . . . كن يحمن حولى من غير إغراء
- ما هو الإغراء الذى تقصده . . ألا تكن الكلمة الرقيقة . . ألا
تكنى الهمسة الحاملة، ألا يكنى أن تقول للواحدة منهن إني أحبك . . أحلى
ليلة، أسعد لحظة . . ألا يكنى أن «تسبل» عينيك وتحلم وأنت تضغط على اليد
فى رفق وأن تمس الساق فى مغزى . . . كل هذا فعلته معى . . . لم يكن إغراء . .
لم يكن تمثيلاً لاحقيقة له جرياً وراء رغبة لاشك فيها؟ . . . كان يسعدك أن
تختبر رجولتك وسحرك . . . ولكن صدقنى إن الرجولة شىء آخر . . .
- أنت تبالغين . . . هذه إهانة لا أقبلها .
- المريض يسخط دائماً ويتهم الطبيب .
- وتولته فجأة ثورة من الغضب وقال غير واع وفى سخرية : وهل أنت
الطبيب ؟ . . عاجلى نفسك أولاً . . .
- ولم يكذب يتهم حديثه حتى كانت الساعة قد ارتطمت بوجهه

وكاد يحن . طلبها مرة أخرى فلم ترد عليه ولم تزد على أن وضعت
الساعة ، وتكرر الطلب والرفض . ولكن حديث الفتاة ظل يطن فى أذنه
فيغضبه حيناً ويرضيه حيناً ، ولكنه فى كل الأحوال كان يؤكد له أنه
الحقيقة التى لا شك فيها .

نتفق أولاً

- قالت له : تتزوجني ؟
أقبل ولكن لتتفق أولاً على الأساس ، على القواعد ...
سأل وهو مندهش : أساس ، قواعد ؟
أجابت : نعم لا بد أن يكون كل شيء واضحاً ..
قال : ألا يصلح الحب أن يكون الأساس والقواعد جميعاً .. ألا
تحييني ؟
— أحبك ما في هذا شك ، ولكن الزواج قضية أخرى غير قضية
الحب .
— إنه أساسها .
— أنا معك أنه أساسها ، ولكن التفاصيل ..
— إذا اتفقتنا على الأساس ، أصبحت التفاصيل لا قيمة لها .
— هذا كلام الحب ...
— وهل بعد الحب شيء ؟
— أشياء كثيرة .. الحب وحده لا يكفي . سامية ومحمود تزوجا بعد
حب عنيف وبعد شهرين طلقها .. أنت تعرف قصتهما ... ومثل سامية
ومحمود كثيرون ...
— أنت تفسدين قداسة الحب بهذا الكلام .
— كلا أنا لا أنسده ... أريد أن أحميه ...
— هو وحده قادر على حماية نفسه .
— الحب لا يحمي نفسه إنما يحميه طرفاه .
— أنت تتحدثين بعقل وكان الأجدر بهذا الحديث أنا الرجل لا

- المرأة .. يلوح لى أنك لا تحبينى ..
- أنا لا أحب باندفاع ، أحب بتعقل .
- وهذا عندى ايس حياً .. أنت تعقدين صفقة .
- ليس الأمر كما تظن . الزواج شركة ، معاملة أبدية ، حياة كاملة فيها الحب وغير الحب .
- وماذا غير الحب ؟
- فيها المعاملة ، فيها الأولاد ، فيها المستقبل ، فيها الضمان ألا تتركى ؟
- هل يعقل أن أتركك وأنا أتزوج عن حب .
- العواطف تتغير ، القلوب لا تثبت ، الحياة مليئة بالمتناقضات ..
- الذى يحب لا يفكر على هذه الصورة .
- ولكن الذى يتزوج لا بد أن يفكر هكذا .. أنت الآن لا ترانى إلا لماماً ... فترة قصيرة وتذهب إلى حالك وأذهب إلى حالى وليس بيننا شيء سوى عواطف رقيقة وأشواق وأمانى وأحلام ، ولكن بعد أن تتزوج سأراك وترانى كل يوم .. ستذهب اللفهة والأشواق ويحل محلها الخلاف فى وجهات النظر ، فلسفتك فى الحياة وفلسفتى ، شخصيتك وشخصيتى أخلاقك وطباعك .. لا تحاول أن تتجاهل الموقف .
- أنا أحبك وكفى ..
- وأنا أرى أنه لا يكفى .
- لم نتفق ، يحسن ألا نتزوج ...
- إذن نفرق ..
- كنت تحبينى من أجل الزواج ؟
- أنت لماذا أحببتى ؟
- طبعاً من أجل الزواج .
- ماذا يضايك لك إذن ؟

- يضايقني أنك تضعين شروطاً ..
- نحن نبني حياة جديدة ، والبناء الجديد لا بد له من أساس ..
- لا أفهم هذا الكلام ..
- أرايت ؟ اختلفنا قبل أن ندخل البيت فماذا يحدث بعد أن ندخله ..
- خير أن تفرق صديقين .. أنت لا تصلح للزواج ..
- بل أنت التي لا تصلحين له .
- سواء كنت أنا أو أنت غير الصالح ، المهم أننا لم نتفق ..
- حرام أن تبددي حلماً جميلاً بهذه البساطة ..
- الأحلام لا تثبت أمام الحقائق .. فكر في الأمر بعقلك أيضاً .
- سأدع لك الفرصة . وآمل أن أتمكن من العودة إلى استكمال هذا الموضوع في فرصة قريبة والإجابة عن بقية الأسئلة .

التلميذ المبتدئ

قالت وهي تمضغ أحزانها : أعطنى الحنان . . لست فى حاجة إلى الحب .

أجاب : كل امرأة تقول هذا ، ولكن ما هو الحنان ؟
— صدر يعرف ويغفر ويصبر ويرضى . . يشارك فى الحزن والمسرة . .
— وما هو الحب ؟

وانصرفت عنه ولاذت بصمت رقيق . . وأضاء وجهها الحاو شعاع
من الشك والخوف . . ثم قالت : الحب . . أخشى أن أقول لك إنه غير
موجود . . .

— عرفيه أولاً . . ما هو الحب ؟
— حتى تعريفه أعجز عنه ، إنه عندى شىء أوسع من المعرفة ،
وأجمل من الحنان . وأصنى من قلب ملاك .

ووضع يده على كتفها فى رفق وقال : انزلى إلى الأرض .
قالت : وهل حلقت فى السماء ؟ . .
— أزيد تعريفاً لحب الأرض .

— وهل الحب نوعان : سماوى وأرضى ؟
— الخلود فى السماء والزوال فى الأرض . . .
— الحب عندى خالد فهو لمسة من السماء .

وسألها : ما هو الخلود ؟
واحتارت بماذا ترد ، وزمت شفيتها وقالت ، كأنها تقلد إليه
الكرة : ألا تؤمن بخلود الحب ؟
قال : أسأل أولاً ما هو الخلود ؟

أجابت في ضيق : شيء لا يموت .

— وهل في الدنيا شيء لا يموت ؟

واستشاطت غضباً وسألت : عيبك أنك تفلسف الحياة . . كل شيء عندك مادي لا بد له من سبب ونتيجة وبداية ونهاية . . . دعك من نزعتك التحليلية هذه . . دعني في أوهامي إذا كنت أحسب الحب خالداً فلماذا تحاول أن تقنعني بأنه ليس خالداً . . أترك لي جنني حتى ولو كانت خيالا من الخيال .

— ستصدمين إذا عرفت الحقيقة . . .

— ولماذا لا أستمع بالخيال إلى أن تصدمني الحقيقة . بالله دعني من حقائقك . . هل نحن نقرر معادلة رياضية ؟

وسكتت برهة ثم قالت : ولكن خبرني ما هي الحقيقة ؟
وأعجزه السؤال فحاول أن يهرب منه : وهل الحقيقة في حاجة إلى تعريف ؟

تحدثته قائلة : أنا موجودة الآن فأنا حقيقة ، فإذا مت لم أصبح إلا خيالا أو ذكرى ، أين الحقيقة ، حقيقتي ؟ ستقول لي كانت موجودة وسأقول لك كانت حياتي وهماً . . وإلا فما هو الدليل عليها ؟ وسارع قائلاً : إذن ليست في الدنيا حقائق . والحب نفسه ليس حقيقة . .

أجابت : هو حقيقة ما وجد . .

— إذن هو يموت . . ليس بخالد .

واستدارت نحوه وقالت : عدت إلى فلسفتك . قلت لك دعني في أوهامي . .

وأطبقت شفيتها وعينها ثم قالت : أنت تغالط . قلت لك منذ

- البداية : لا أريد الحب . . أريد الحنان .
- ولكن الحنان يبذل لكل الناس والحب يبذل لإنسان واحد .
- أنا عندك كبقية الناس ؟
- هذا ما تريدينه . . .
- ولكننى . . .
- ثم توقفت ورنيت إليه بعينين فيهما فيض من النداء وفرت دمعتان مكتومتان من عينيها .
- قال : أراك سكت . .
- اغتصبت الألفاظ اغتصاباً وقالت : لأنك جعلتنى كبقية الناس ..
- إذن تريدين الحب وليس الحنان ؟
- افهم ما تشاء . . أنت تضايقنى .. سأنصرف ..
- على أن تعودى ...
- لن أعود ...
- وقال فى ارتباع : ولكن لماذا ؟
- وهزت رأسها وقالت : لست أدرى ، شبت فى نفسى رغبة عجيبة مفاجئة أن أنصرف الآن ... أن أهرب ... وألا أعود . كرهت الحب والحنان ... كرهت الرجال ، كرهت نفسى .
- وقال فى تصميم وهو يودعها : ستعودين .
- وكادت تلطمه وهى تقول : هكذا ببساطة تركنى أنصرف . . .
- أجاب فى سداجة : ولكنك تريدين الانصراف ...
- أنت لا تفهم شيئاً عن نفسية المرأة ... لماذا تطيعنى ؟ .. لماذا لا تشدى يدي فى عنف وتقول اجلسى هنا .. لن أدعك تنصرفين .
- إذا فعلت هذا كنت قاسياً خشناً أجبرك على ما لا تريدين ...
- هكذا قلت حينما لاح لى ذات مرة أن أكون عنيفاً معك .

- لأقل ما أشاء ... ولكن ، افعل أنت ما تشاء .. ألا تفهم .. ؟
- أوكد لك أنني لا أفهم شيئاً .
- إننى أكره الرجل الذى يطيع المرأة .
- وتكرهين الرجل الذى يجبرها على أن تفعل ما يشاء .
- من قال لك هذا ؟
- أنت
- عدت إلى غبائك ... قلت لك دعنى أقل ما أشاء ... هل تصدقه ؟
- كنت أفعل . . .
- منذ الآن لا تفعل
- تكذبين إذن ؟ . . .
- أنا لا أكذب وكل ما أقوله صحيح .
- إذن لماذا تريد أن أصدقه
- لأنه غير صحيح . . .
- عقالى يكاد يطير . . .
- لا يطير ولا حاجة . . أنا أقول لك ما أعتقد أنه صحيح ، ولكننى أريد منك أن تقف فى وجهى . . أن تجعلنى أشعر بأننى تحت سلطانك .
- سخرت منى ذات مرة حينما قلت لك هذا ...
- لا بد أن أسخر ، ولكن لا بد لك أن تتجاهل سخرىتى .
- فهمت
- أخيراً
- اعذرني فإننى مبتدئ فى العلم . . .
- أى علم ؟
- علم المرأة . . .

— وهل المرأة علم ؟

— أصعب علم . .

قالت وهي تخطو نحو الباب . أنا منصرفة . . منصرفة ولن أعود . .
وتردد ماذا يصنع ، وصرخت في وجهه : أنا منصرفة ولن أعود . .
ومد إليها يده مودعاً ، فقذفته بحقيبة يدها ، وانصرفت . .
ولم تعد .

صلاة

قالت له : أنت تعرف الكثير عني ، حكيت لك قصتي كاملة ،
ولا بد أنك كنت تشفق على وترثي من أجلي ، أنا نفسي كنت أشفق
على نفسي وأرثي لها ، وتسألني الآن كيف حالي فأقول لك إنني سعيدة ...
سعيدة جداً .

وتأمل وجهها . . . كان هادئاً رقيقاً فيه سحابة غامضة وعليه مسحة
أقرب ما تكون إلى القداسة . . .

قال : أتعبك طول الحمدود ، أويت إلى عش . . .

قالت : كلا ، ولكنني سعيدة . . .

— صلاة وصيام وإيمان إذن .

— ولا هذا أيضاً . . .

وتوقفت وبرقت عيناها ثم استدركت : نعم صلاة وصيام وإيمان ،
أنا عابدة في محراب .

— وتجدين الهناء الذي افتقدته . .

— وأكثر من الهناء هل عندك كلمة تصف ما أنا فيه الآن ...

أحياناً أشعر أنني عاجزة عن وصف ما أحس به ... الله جميل .. هل
في هذا شك ، أنني أحبه ... أحبه في شخص رجل ؟

— ليس صلاة وصياماً إذن . . إنه حب .

— أنا أعبد الله في الحب . أصلي الآن وأصوم ، ومن قبل لم أكن

أعرف الله . بعض الناس يعرفون الله عن طريق نعمائه التي أنقذت
من كارثة أو كانت فيضاً من الهناء يغمر الحاطر . . إن الله عظيم
عظيم جداً . . أعطاني النعمة . أنت تعرف أنني قضيت شطراً من حياتي
أنشد الحب ، أن أجد رجلاً يستحق طهرى وصفاء نفسي وتضليحي . .

كانت خيبتى مرة فى كل الرجال الذين قابلتهم . . . كنت أحياناً أركع بين يدى الله أعتب عليه أن كل من خلقهم كاذبون منافقون ثم أقول . . . كلا يا إلهى إنك عظيم جميل رائع ولا بد أنك خلقت كثيرين على مثالك هبى واحداً منهم . واستجاب الله لصلواتى .
— والآن . . .

— أشعر أحياناً كأن الله فيه ، إننى أعبد ، ولا أتضايق من أى امرأة يعرفها . . . هل تتصور هذا . . . قد أكون مجنونة . إننى أعطيه الحب لأننى أعرف أنه يسعده . ولا يهمنى إذا كان يحبنى أم لا . أشعر أحياناً أنه لا يستحق هذا الحب ، ومع ذلك أحبه أكثر . هل هو شذوذ أم ماذا . ؟ لا أدرى . . ألم أقل لك إننى أعبد الله فيه . إن الكارثة تأتى لنا أحياناً من السماء فلا نفقد حبنا لله ولا إيماننا به ونركع أمامه نرجو المغفرة من ذنوب لا نعرفها . أحببت صديقه فسأل : لماذا هذا الاهتمام به ؟ قلت : إننى أحبك فلا بد أن أحب كل من تحبهم . . التراب الذى تمشى عليه ، الهواء الذى تتنفسه . . الأزهار التى تقع عليها عينك . . كل الأزهار . . فقد تقع عليها عينك . . كل التراب فقد تمشى عليه . . كل الناس ، فقد تعرفهم وتحدث إليهم . . كل الدنيا التى تعيش فيها . . الله الذى أوجدك وأوجدنى . . ومنحنى السعادة كلها .

— إنه ليس حباً . . إنه عبادة للحب . . . عبادة الله . . .
— سيمه كما تشاء ، وماذا تعيننا الأسماء . أعرف أنه غائب ومع ذلك أطلب رقم تليفونه وأتركه يذق ولا أحد يرد ومع ذلك فأنا سعيدة . إنه الصوت الذى يناديه ، إنه التفكير فيه ، والانتظار له . هل تتصور أن الانتظار عندى سعادة ، مجرد الانتظار ، بل إن الانتظار أجمل ، أشبه عندى ببزوغ القمر فى جلاله وروعته . . إنه الأمل فى اللقاء . . وأنا معه ، هل تتصور ، أريد أن يقف الزمن ويتجمد ونصبح قبل الأزل

أو بعد الأبد ، لا نتحرك ولا يتحرك ، لا نحس ولا يحس . طول عمري لم أكن أثق في الرجال .. كيف وثقت في هذا الرجل ؟ .. لا أدري ...
— أنت لم تثق فيه .. أنت آمنت بالحب . الثقة هنا بالشئ .. وليست بالشخص .

— ربما كان كلامك صحيحاً ، ولكنني سعيدة .. سعيدة بالحب .
— ألا يمكن أن تتغيرى أو يتغير ..
— أنا لن أتغير .. أما غيره هو فلا يهمني
— الحياة ليس فيها جمود ، إنها حركة ، والحب كائن حي لا بد أن يتحرك إلى أعلى أو إلى أسفل ، إلى أمام أو إلى وراء ..
— إنه حتى الآن يتحرك إلى أعلى ، إلى أمام .
— ألم يبلغ الذروة بعد ؟
— لا أعرف ولكنني أشعر أنه في جلدى ، في عظامي ، في أنفاسي .
— لم أقل لك إنه منك وليس منه !
— أياً كان مصدره ، فلأنني سعيدة ..
— أحاذر عليك من الصدمة !
— وماذا تعني .. لأنني أشعر الآن أنني أقوى منها وأقوى من أى صدمة . أشعر أن الله في داخلي ..
— لم تجيبي عن سؤالى ، هل هو منك أو منه أو منكما معاً ؟ ..
الجواب يحدد طبيعة هذا الحب إذا كان منك وحدك فهو عبادة للحب في ذاته ، وإذا كان منه فهو تجاوب ، خيوطه في يد مائحة إذا جذبها أنهار وتحول إلى رماد . وإذا كان منكما معاً توقفت حياته على تصرفات كل منكما .

— أنت تتحدث عن الحب كما لو كان عملية عقلية ، وعقلي متوقف عن العمل الآن ... أنا سعيدة ، هذا هو كل ما أعرفه . سعيدة لأنني

أنتظره . إنه مسافر وسيأتى فى هذا المساء .
وأغمضت عينيها كالحالمة وقالت : سأراه .

* * *

وانصرفت وتأملت حديثها . كانت منذ سنوات تترامى الرجال على
أقدامها وتسخر منهم ، وهى الآن تترامى عند أقدام رجل لأن الحب
أضياء قلبها ... هل تحبه حقاً ؟ .. أم أنها سئمت جمود العاطفة فى القلب
المغلق ، ففتحت قلبها لأول طارق وتصادف أن كان هو أول طارق ؟
من يدري ... ما أعجب العواطف وما أعجب المرأة ... يختلط عندها
الحب بالعبادة ويختلط الإيمان بالحب ، وتحس أن الصلاة فى محراب
الحب صلاة فى محراب الله

المظهر والحقيقة

- قالت له : هل ترى القمر بوضوح ؟
أجاب : أحسب أنني أفعل !
— هل ترى ما فيه من وهاد وجبال ؟
قال : أرى وجهه المنير وحده ، وجهه الجميل . . .
— ولكن! هذا الوجه ليس الحقيقة . . .
— وماذا تعني الحقيقة ؟ . . . يكفي أنني أرى وجهاً جميلاً . أنت
مثلاً بارعة الجمال ، هل تعرفين ماذا وراء عينيك الساحرتين من
تلايف في المخ ؟ هل تعرفين ماذا وراء فمك العذب من لسان ولهة .
ومنظر غير جميل ؟ . . .
وأوقفته منزعة : اسكت . . . اسكت .
قال في هدوء : هذه هي الحقيقة لماذا تخافين منها ؟
قالت : . . . لم أقصد هذا النوع من الحقيقة .
— وهل الحقيقة أنواع ؟
— لها وجوه . . .
— حسبت أن لها وجهاً واحداً . وبغير ذلك لا تكون حقيقة . . .
وسكتت لحظة مختارة في تردد ثم سألت في عين يشع منها السحر :
ما هو الحب ، حقيقته ؟
— لا أعرف له حقيقة . . . أعرف مظهره .
— المظهر يصدر عن حقيقة ، ولكي نعرفه تماماً لا بد أن نعرف
الحقيقة ، الكيان .
— ولكن لماذا الإصرار على معرفة الحقيقة ألا يكفي المظهر ...

أزعجتك معرفة الحقيقة في وجه القمر الجميل وأزعجتك معرفة الحقيقة وراء وجهك الجميل . .

— هل تعنى أن حقيقة الحب أيضاً بشعة ؟

— كلا لم أقصد هذا ، كل ما قصده ألا نشغل أنفسنا بحقيقة الأشياء ، يكفي ظاهرها .

— المنافق الذى يغرقك فى المديح والثناء مثلاً ، ألا تحب أن تعرف حقيقته ؟

— وماذا أفيد من هذا ؟

— تعرف أنه منافق ، وتميز بينه وبين غيره من الصادقين .

— ما ذا لو تقصيت وراء الصادقين ثم عرفت فيما بعد أنهم كاذبون ؟

ألا تعرفين ما قاله على بن أبى طالب كرم الله وجهه : « لو عرف أحدكم ما بقلب أخيه لم ينظر فى وجهه » .

— أنت متشائم ، تعنى أنه لا يوجد إخلاص ولا حب على هذه

الأرض . . .

— كلا بل يوجد ولكن تقصى الحقيقة إلى آخر مداها مزعج . .

أنت جميلة ما فى هذا شك ولكن تقصى الحقيقة وراء هذا الجمال أمر

مزعج . . القمر جميل دون شك ولكن تقصى الحقيقة وراء هذا الجمال

أمر مزعج . . الحب شيء جميل ما فى هذا شك ، ولكن تقصى الحقيقة

وراء هذا الجمال أمر مزعج حتماً . . .

— أنت تعمم فى أحكامك . . الحب شيء آخر .

— ولماذا يكون شيئاً آخر !

— لأنه أجمل ما فى الحياة . .

— وهو أيضاً أسوأ ما فى الحياة . . إنه يؤدي أحياناً إلى الجنون

والانتحار والتعاسة . .



- فقدانه أو الفشل فيه وليس هو بذاته . . .
- الأمر لا يختلف .. فلو لم يكن موجوداً ما نتجت آثاره ، والشئ
يؤخذ في مجموعه وليس في وجه واحد من وجوهه .
- وسكنت الفتاة كالمهزومة وتألقت في عينيها دمة وقالت : أنت تهدم
حياتي لأن آمالي كلها قائمة على رجل يحبني . .
- أواثقة أنت من حبه ؟
- هكذا أعتقد . . .
- إذن ماذا يشقيك . . ماذا يخيفك ؟
- أخشى أن يكون كاذباً ... هنا تكون الكارثة ...
- ولكن لماذا لا تقنعين بالظاهر . . .
- لأنني أحب الحقيقة . .
- هل يزعجك مثلاً إذا عرفت أنه أحبك لجمالك وشبابك ؟
- وتريثت برهة ثم قالت : تعني أنه إذا ذهب الجمال والشباب ، ذهب
الحب . . .
- هل يزعجك مثلاً إذا عرفت أنه يحبك لعقلك واتزانك وخلقك ؟
- فإذا اضطرب العقل وساءت الأخلاق ، ذهب الحب .
- هل يزعجك مثلاً إذا عرفت أنه يحبك لأنك ذكية متفوقة يتظرك
مستقبل سعيد في عملك ؟
- وصرخت : هذا ليس حباً . . إنه تجارة .
- إذن كيف تريد أن يحبك ومن أجل أي شئ ؟ . .
- وسألت في يأس : هل لا بد أن يكون للحب سبب ؟
- لكل شئ سبب .
- وقالت مصرة : . . . الحب . . . إنه يقع كالقدر .
- في الظاهر هذا صحيح ، ولكنه في الواقع تجري عليه نواميس الكون .

- ماذا تعنى بنواميس الكون ؟
- أعنى أنه سبب ونتيجة ، كائن حتى لا بد أن يولد وينمو ويعيش ويمرض ويتشوه ويضعف ويموت . . بعض أنواع الحب قصيرة الأجل لا تكاد تظهر إلى الوجود حتى تتعثر ، بعضها أقوى يعيش أطول . .
- ألا يوجد الحب الخالد ؟ . .
- يتحول إلى ذكريات جميلة أو أليمة .
- أنت تضايقتى وتهدم أحلامى . . .
- خير من أن تضعى قدمك على أرض من الأوهام .
- ولكنها تسعد فى بعض الأحيان . . .
- وتشقى فى بعض الأحيان . . .
- تعطى وتأخذ . . .
- هذا صحيح . إذا آمنت بمبدأ الأخذ والعطاء فلا خوف عليك . .
- نرجع إلى القمر وإلى وجهك الجميل وإلى الحب الجميل ، كل منها يتألف من عناصر إذا أخذ كل عنصر وحده شامت الصورة ، أما إذا ضمنت العناصر بعضها إلى البعض الآخر كملت الصورة وكان لها بهاؤها . . . تعطيك فى المظهر الجمال وتعطيك فما وراء المظهر القلق والخوف وربما الاشتزاز . . . كلما كان المظهر أنحازا اختفت العناصر الكريهة ، فإذا ساء المظهر ازداد ظهور العناصر المكروهة وبدأ الاضمحلال .

مزايا المرأة

- قالت له : جئتكم أمس ، ولم أجدكم . .
قال : لم يكن بيتنا موعد .
— حسبت أنك تحس بقلبك ... الذى تملؤه العاطفة يقوده قلبه . .
— والعقل . . .
— العقل يحسب ويقدر ويفكر ويقىس ثم يتصرف .
— وأنت ، ألا تستخدمين عقلك ؟
— حيث تكون العاطفة قوية لا أشعر بحاجة إلى العقل .
— أفهم من ذلك أن عاطفتك ليست قوية . . لقد استخدمت العقل
معى ذات مرة . . .
وتولتها الدهشة وسألت منكراً : متى حدث هذا ؟ . . .
قال فى هدوء له معناه : فكرى . . إن المرأة تنسى وهى فى حاجة إلى
ما ينعش ذاكرتها . .
قالت فى إصرار : المرأة لا تنسى .
— إذا سلمنا أن المرأة يحكمها قلبها فمن المحتم أن تنسى . إن القلب
متقلب ، أما العقل فثابت صامد .
— تريد أن تقول إن الرجل أكثر ثباتاً من المرأة فى عاطفته . .
— ربما عنيت هذا .
واستشاطت غضباً : هذا غير صحيح . . أبداً . . أبداً . المرأة أثبت
وأصدق عاطفة .
— هذا رأيك ؟
— ورأى كل الناس .

— تستطيعين أن تؤكدى أنه رأيك ، أما أنه رأى كل الناس ، فالأمر مختلف .

قالت : المهم ما تعتقده أنت لا ما يعتقد الناس . . .
 — وهذا شيء آخر ، إن المرأة تعيش فى عالمها ولا يعنىها عالم الناس .
 — بل إنها فى صميم عالم الناس . . .
 — إنها تعتقد أن عالمها هو الذى ينبغى أن يكون عالم الناس .
 — أنت متحامل على المرأة . . .
 — بالعكس ، أنا أحاول أن أفهمها . . .
 — هل هى معقدة إلى هذا الحد ؟
 — كلا إنها ليست معقدة ، ولكنها لا تعترف بالمنطق . المعادلات الصحيحة عند الناس لا تكون صحيحة عندها إلا إذا كانت توافق هواها .

— تعنى أنها هوائية . . . وهذه تهمة أخرى . . .
 — كلا ، قولى إنها مزية أخرى . . .
 — نخرجنا عن الموضوع .
 — لست أنا السبب إن المرأة أيضاً ليس لديها التركيز . . إنها تنتقل بسرعة من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين . .
 — لم يبق شيء سبى لم تلصقه بها .
 — كلا ، إنه ليس شيئاً سيئاً . . . مزية ثالثة . . .
 — أولاً إنها متقلبة وإنها لا تعترف بغير العالم الذى تعيش فيه وإنها تنسى وتذهب من اليمين إلى اليسار ومن اليسار إلى اليمين ثم إنها لا تعترف بالمنطق . هل كل هذه الأشياء مزايا ؟ . . .
 — بالتأكيد . . . تصورى ، لو لم تكن المرأة كل هذا ، هل كان الأدب والفن والحياة تكون بهذا الثراء والجمال ؟

— بسبب هذه المساوىء . . .

— إنها ليست مساوىء ، كما قلت لك ، وأرجو أن تضيفي إليها مزية أخرى هي أنها متناقضة . تصورى لو أن المرأة حكمها العقل والذاكرة القوية والمنطق الجامد ، تصورى أنها ثابتة معقولة لا تتناقض ولا تثور ولا تبكى ولا تصرخ . . تصورى كيف كانت حياة الرجل تكون بل كيف كانت الحياة تكون .

وفتحت عينيها دهشة وسكتت بينما استطرد : الفستان اللامعقول الذى ارتدته بعض السيدات فأظهر صدرهن . .

قالت : وماذا فى هذا ؟ . . إنه لم ينتشر ، قاومه الرجال . .
— ولكن هل اقتنعت المرأة ؟ إنها لم تقتنع وسترين بعد قليل أنه سينتشر ومن يدرى لعل سيادتلك ترتدينه حيثن . .
— أنا ، وهل هذا معقول ؟

— إنه . . . حقيقة . . . غير معقول ، ولكن أى شىء فى المرأة معقول ، لا تتزعجى . . هذا أيضاً من مزاياها . إن الرجل منذ وجد يكافح لكى يجعل المرأة معقولة . ومع الأسف إنها هى التى جعلت الرجل غير معقول . . لا تتزعجى أيضاً . آدم ترك الجنة وهذا شىء غير معقول ولكنه حدث لأن حواء أتت أمراً غير معقول . . أكلت من الشجرة المحرمة ، عصت أمر ربها . .
— إنها إرادته ، إرادة الله سبحانه وتعالى ، ولو شاء ألا تعصى أمره ما فعلت . .

— تقصدين أنها إرادة عليا أن تكون المرأة على ما هى عليه .

— وأن يكون الرجل أيضاً .

— لأول مرة فهمت أن مساوىء المرأة فضائل . . .

— لم أقل هذا . . .

— تغيرت بسرعة ، وأنت تقول إن الرجل ثابت لا يتغير .

— قلت إنها مزايا ولم أقل فضائل والمزية ليست دائماً فضيلة ثم
إن المرأة . . .

وقاطعته نائرة : كفى سفسطة ، إن المرأة تتكلم بمنطق أفضل من هذا.
أجاب ضاحكاً : لولا أنك امرأة ما جرى الحوار بيني وبينك على
هذه الصورة المشوشة . .
— أنت السبب .

— وأنت طبعاً لا لوم عليك . . كل الفضائل فيك ، أما الرجل
فمجرد منها ، مجرد من المنطق .
وقالت منتصرة : تماماً . . .
وأجاب ساخراً : وهذا شيء آخر جميل في المرأة . . والآن متى
أراك ؟

قالت : لن أحدد موعداً . . . سأجىء وقتما أريد . .
— وأنا ؟

— عليك أن تكون موجوداً في الوقت الذي أختاره . .
— وكيف أعرفه ؟
— بقلبك !

ما بين السطور

- قالت له : عذبتني . . أنت لا تتكلم .
قال : هل لا بد من الكلام ؟ أنت تعرفين عواطفى نحوه . .
— كيف أعرفها ؟
— للمعرفة وسائل كثيرة . النظرة معرفة . اللمسة معرفة . اضطراب
القلب معرفة . الاهتمام معرفة ، السكوت أحياناً معرفة . .
— المعرفة عن طريق هذه الوسائل إيجاءات وتفسيرات . ومع الإيجاء
والتفسير يكون الشك والغموض ، وكلاهما يقتلنى .
— وهما أيضاً سر بقاء الحب بيننا . . .
— تعنى أن الوضوح يقتله .
— كلا ، قلت إن الشك يبقيه . . .
— والشك نقيض الوضوح . . .
— كلا ، قد يكون الشك مع الوضوح ، إن الكلام نفسه قد يكون
موضعاً للتأويل والتفسير .
— الكلام الصريح لا يحتمل التأويل . . .
— ليس كل كلام صريح صريحاً . . اللسان يقول أحياناً غير ما
فى القلب .
— هنا يكون الكذب والكذب أمره معروف .
— يلبس الكذب أحياناً ثوب الصدق .
— الكذب مفضوح . . .
— كيف ؟
— إحساسى يقول لى . . .

- إذن الإحساس وليس الكلام هو الأصدق .. ومن هنا أفضل ألا أتكلم وأدع إحساسي يخاطب إحساسك ..
- ولكن الصمت يقتلني ..
- أخشى أيضاً أن يقتلك الكلام .. إن الصمت أحنى على الإنسان من الكلام .
- ولكن الصمت قاتل . . .
- ومن الكلام ما يقتل . . ألم تقرر أن السكوت من ذهب .
- إلا في الحب . . .
- لقد ابتذله الناس لكثرة ما تكلموا فيه . . إنه مقدس فالصمت أليق به والحب عبادة .
- الذين يعبدون الله يتكلمون . . يسبحون ويحمدون ويشكرون . .
- ولكن الله لا ينظر إلى ألسنتهم ولكن ينظر في قلوبهم . .
- الله يعرف السر والجرير ، أما أنا فبشر . حتى الآن لم أسمع منك أنك تحبني . . تراوغني كما لو كنت أطلب ترخيصاً بدخول الجنة . .
- أنت فيها من غير ترخيص . . أنت في قلبي .
- لماذا لا تقول . .
- أحياناً يبلغ الحب مرتبة أعلى من القول . . يخيل إلى أحياناً أن الألفاظ تغض من قداسته
- ولكنني راضية بالقداسة الأرضية . أنا بشر أريد أن أحس وأحلم وأتألم وأتكلم . .
- لو أسرفت في الكلام فقد قيمته . .
- خطاباتك لي تلغرافات . .
- ألا تقرأين ما بين السطور . . .
- ولماذا لا تكتب السطور وتكتب ما بينها هل هو ضيق الوقت أم

ضيق المساحة أم ضيق العاطفة ؟

— لا هذا ولا ذاك ، ولكنه إحساس منى أنك تفهمينى من غير أن أتكلم ، تحبيننى كما أحبك .. إن الحب المتبادل يغنى عن السطور وما بينها .

— أريد أن أتأكد من وجوده . . .

— رغبتك فى التأكد من وجوده دليل على أنه غير كامل فى نفسك .

— بل هو كامل عندى . . إن ريبى فىك أنت . .

— لو كان كاملا عندك لأغناك عن الشك والريبة . . إن الحب

يستطيع أن يقوم بذاته . .

— من غير طرف آخر .

— من غير الشك فى الطرف الآخر .

— أنت متناقض . . قلت الآن إن الشك هو الذى يقيم الحب ،

وتقول الآن إن الحب الكامل لا يحتاج إلى الشك . .

— الشك مرتبة لبلوغ الحب الكامل . . أنت الآن فى المرتبة الدنيا

من الحب . ويوم تكفين عن الشك تبلغين مرتبته العليا .

ووضعت رأسها على صدره وقالت : أنت توجع دماخى . . قل

إنك تحبنى وأرحنى . .

بقايا قيد

- قالت له : لقد فقدتني
- سكت هنيهة ثم أجاب : تعني أن ما بيننا قد ذهب .
- قالت : أعني أنه تحول . . أصبحت الآن أنظر إليك كحلم جميل
تبدد .
- سأل : وما هو نوع العلاقة الجديدة ، هل هي صداقة أم بقايا حب ؟
- حب ، لا تنطق هذه الكلمة . . أنت لا تعرفها . . صداقة ،
ربما كان وصفاً أقرب .
- الحب لا يمكن أن يتحول إلى صداقة . . ابحthy لك عن وصف
آخر .
- لا يعينني الوصف أو التحليل . . المهم أنني أجد في نفسي رغبة
في أن أتحدث إليك وأن أتشفي فيك . .
- تشفين . . نوع من الانتقام إذن !
- ربما كان نوعاً من التعويض . استرددت حريتي ، تخلصت
من سيطرتك على . أتحدث إليك وألقاك من غير قيود ، من غير سيطرة ،
من غير أن أحاسبك أو نحاسبني . . كم أنا سعيدة ، أنت لا تعرف
ماذا يعنى أن تكون حراً من عاطفة طاغية .
- الحرية هنا فراغ ، والفراغ نخلاء ، والنخلاء ضياع .
- ضحكت ساخرة ، وقالت : أنت تحاول إغرائى كي أعود إلى القيد .
- كلا لا أحاول إغراءك بشيء ، إنما أنا أحلل موقفاً تفرضينه على .
- أنت المسئول عن هذا الموقف ؟ أعطيتك عواطفى نظيفة كاملة
فلم تفهمها . . ظننت أنني امرأة كبقية النساء تنشد فترة هناء أو تنشد

مغامرة من المغامرات . . كانت بالنسبة لى الحياة كاملة .

— وكانت كذلك بالنسبة لى . . .

— لا تقل غير الحقيقة . لو نظرت لى كذلك ما فقدتلى . كنت

تنشد جسداً وكنت أنشد روحاً . كدت أن تنزل لى لى الجسد ولكننى

اعتصمت بالروح . حاولت أن أرفعك لى فلم أنجح . توقفت وترددت .

كدت تنتصر ولكننى فى اللحظة الأخيرة قررت ونفذت . قررت أن

أقتل الروح والجسد معاً . .

— والآن . . .

— كما ترانى أقف معك على مستوى واحد . لى لك فى نفسى شىء

خاص . لى لك فى قلبى مكان ، لم يعد حديثك يخلبنى ، لم يعد صوتك

يهزنى كما كان ، بطل السحر .

— وسعيدة ؟

— غاية السعادة . . ما هى السعادة ، إنها لى شىء آخر إلا أن

تسرد حريرتك ، تشعر أنك سيد عواطفك ، سيد تصرفاتك . .

— ولكن المرأة تنشد عبودية العاطفة . إن سعادتها فى هذه العبودية . .

— والرجل ؟

— ينشد سيطرة العاطفة ، هذا هو حكم الطبيعة . سيطرة من الرجل

واستجابة من المرأة .

— أنت مخطئ يا صديق ، ومن أجل هذا فقدتلى . لم تفهم العاطفة

من جانب الرجل إلا أنها السيطرة ولم تفهمها من جانب المرأة إلا أنها

الخضوع ، مع أنها فى الواقع المشاركة .

— المشاركة فى العاطفة لا تنتج حباً وأعنى بالمشاركة التساوى فيها .

— تعنى أن دور المرأة فى العاطفة يجب أن تكون الأدنى .

— كلا لى هذا ما قصدت إليه ، كل ما قصدته هو أن العاطفة

في المرأة لها تحليل آخر غير العاطفة المقابلة لها في الرجل . إن العاطفتين إذا كانتا من نوع واحد لم تلتحما ، إن التناقض بينهما هو الذي يؤدي إلى الالتحام .

سكتت قليلا وكأنها تتأمل هذا الكلام ومراميه ، ثم سألت في سخرية : أنت تتفلسف لكي تغطي فشلك . . .
ونظر إليها في دهشة وقال : فشلي . . . فشلي في ماذا ؟
— في أنك لم تستطع الاحتفاظ بي . . .

— ولماذا لا نقلب الموضوع ونقول إنك أنت التي فشلت في الاحتفاظ بي . . .
— لأنني أنا التي انصرفت عنك . . . أنا التي توقفت عن العاطفة . . .

— هل أنت واثقة من هذا ؟
— كل الثقة .

— أخشى أن يكون الأمر مختلطاً عليك . هل قرأت قصة الثعلب الذي أراد أن يصل إلى العنب ، فلما أعياه الوصول إليه قال هذا حصرم . وكادت أن تقذفه بمروحة في يدها وكزت على أسنانها وقالت : وقح . أنت لا تستحق فتاة مثلي ، أثبت هذا . . .
قال هادئاً : والآن . . . هل نفرق ؟
— لقد افترقنا ، وانتهى الأمر . . .
— إذن لماذا هذا الحديث . . .

— لكي أثبت لك أنك لم تصبح في حياتي . . . لم تصبح بالنسبة لي شيئاً .

— محاولتك إثبات هذا دليل على أن الأمر لم يته . الذي لا يشعر بشيء لا يحمل نفسه مشقة إثبات أنه لا يوجد .

- أنت تعزى نفسك ، تحاول أن تؤكد لها أنك لم تفشل . .
- وجودك معي الآن دليل على أنني لم أفشل . إن ما في نفسك مرحلة من مراحل الصراع .
- أى صراع ؟
- الصراع ضد سيطرة الرجل ، أنت تحين هذه السيطرة وتكرهينها في الوقت نفسه .
- لقد تخلصت منها نهائياً وأنا سعيدة بهذا .
- لن تستمر سعادتك . أنت فرحة بانتصارك على قيود العاطفة ، ولكن هذه الفرحة لن تطول . ستشعرين بالفراغ وتتوقين إلى القيود . .
- تخريف !
- الزمن بيني وبينك وهو الفيصل . .
- سترى .
- وسترين .
- قالت في سخرية حاولت بكل وسيلة أن تجعلها تظهر كأنها صديقة :
يبدو أنك واثق من رأيك !
- إنه ليس رأياً ، إنه طبيعة لا تتخلف . . إنها المرأة والرجل . .
- تعنى أن المرأة تحب قيد العاطفة . .
- قلت هذا من قبل ، تحبه وتكرهه . . تثور عليه ثم تعود إليه .
- قالت في تحد : إذا تآقت نفسى إلى قيد العاطفة فلن تكون معك .
- أجاب في هدوء : هذا شيء معقول وممكن ولكن . .
- وصرخت : ولكن ماذا ؟
- فقد صبرك ، انتظري . . إن القيد لم يتحطم تماماً ، لا تزال فيه
- بقية . .
- أنت مخدوع تريد أن تطمئن نفسك .

- لا تغضبي حينما أقول لك إن هذا الحديث الطويل الذي جرى بيننا هو بقايا القيد ، هو الحنين للعودة إليه .
- لن أعود . . .
- ستعودين . . .
- ليس لك . . .
- أنت لم تنفصلي عني ، وما زلت مرتبطة بي .
- هل هو إيجاء ؟ . .
- إنه الحقيقة . . الحقيقة التي تتجاهلها المرأة دائماً .
- تثير أعصابي ببرودك . .
- وهذا دليل حسن . .
- وهدأت غصبا وقالت : دليل على ماذا ؟
- على أنك لم تتخلصي من القيد وعلى أنك لست صادقة الرغبة في التخلص منه ، ما دمت أستطيع إثارتك فأنت ما زلت في القيد .
- إنني أكرهك . . .
- وهذا دليل آخر . . .

مطر وتراب ونفس

انهمر المطر ، وامتلأت الشوارع بالماء المتجمع في الزوايا والأركان
واختفت الشمس ونزلت ندف من الثلج ، وأظلم الجو ، وأسرع الناس
في الشوارع يلتمسون الملجأ أو الفرار . جو المطر ، إنه يغسل الأرض
وليته يغسل الناس ، ويلون السماء بألوان داكنة ، وزاهية . . فيها لمسات
من ريشة فنان . وفي جو المطر يأوي الإنسان إلى ذكرياته كأنه يلتمس
فيها الدفء والحنان . . لماذا يحدث هذا ؟ ربما لأن الجو المظلم يجعل
الإنسان تلقائياً ينكمش في نفسه ويخلو إليها . . ربما لأن وهج الشمس
يحملنا على النظر في الخارج ، وظلمة المطر تعود بنا إلى الداخل .
كنت أنظر من النافذة فأجد الجو الغائم ، وأنظر في نفسي فأجد
مثل هذا الغمام ، تكاثر فيها التراب ، وأزعجني أنني منذ أمد طويل لم
أخذ منها وأعطي . . فانفصلت عني أو كادت . كان لابد أن آوي
إليها أرفع عنها التراب لكي يصفو لي وجهها . أحسست أن المطر يغسلها
وينظفها .

قالت نفسي : أصبحت مجرد آلة لا تفكر ولا تتأمل ، أنت تظلم
نفسك . . .

قلت : أظلمك . . وهل أستطيع ؟

قالت : وهل عندك ظلم أكثر من أن تهجرني ؟

قلت : ولكنك معي دائماً . . أنت أمارة بالسوء .

قالت : تبرر خطأك وترميني به ؟

قلت : من أين يجيء الخطأ إذن ؟

قالت : من حيث يجيء الصواب . .

قلت : لم أفهمك . .

قالت : كنت تفهم كل شيء فيما مضى أما الآن فقد أصبح بيني وبينك حجاب !

قلت : ولماذا لا توقظيني إذا سهوت أو غفلت ؟

قالت : وهل في الضجة يحسب للهمس حساب؟ أنت لا تستطيع أن تسمعي إلا إذا خلوت إلى ، وأنا أراك أكثر الوقت مع الناس . .

قلت : وفي الليل حينما آوى إلى مضجعي ؟

قالت : يهدك التعب فتنام ، شكراً للمطر ، ليته يطول .

قلت : أنت أنانية ، تريدني أن أعيش معك ولا أعيش مع الناس .

قالت : أنت تغالط . . طول عمرك تعيش مع الناس ومعى . . ما أردت أن أفصلك عنهم ، ولكن كرهت أن تنفصل عني . .

قلت : أعيش مع عقلي وقلبي . .

قالت : يا للمسكين ، وهل تستطيع أن تعيش معهما وحدهما . . العقل جاف خشن ، وما أحسبك ترضى أن تكون جافاً خشناً ، والقلب أحمق أهوج ، وما رضيت لك يوماً أن تكون الأحمق الأهوج .

قلت : أمزج بينهما فأعيش حياة سواء .

قالت : أنا الذي أمزج بينهما ، ومن غيري تنكمش في هذا الجانب أو ذاك . وتنطلق من هذا الجانب أو ذاك . . لا الانكماش يجديك ولا الانطلاق يجديك . . فكر معي . . إن الحياة ليست عقلاً خالصاً ولا قلباً خالصاً .

قلت : لم تأت بجديد ، تعلمت هذا منك منذ أمد طويل .

قالت : والأستاذ القديم ألا يستحق منك تحية عابرة أو وقفة من حين إلى حين حتى لاتنى أو تغوى ضلالاً .

قلت : الغواية والضلال منك . .

قالت : أجبنى بصراحة ، هل أنت سعيد ؟
 قلت : تهريين من السؤال . . .
 قالت : تريث ، ستعرف أننى لا أهرب منه . لقد عاشرتك دهرًا
 طويلا .

قلت : ومع ذلك فلا أحسب أننى أعرفك .
 قالت : يا للجاهل الأحمق . . لا تعرفنى ؟
 قلت : لا أعرفك لأننى لا أعرف من أين جئت ؟
 قالت : وهل لابد أن تعرف المصدر حتى تعرفنى ؟
 قلت : هذا أبسط ما تعلمت . . .
 قالت : ومن علمك إياه ؟
 قلت : الكتب والأساتذة والحياة . . .
 قالت : وهل تعرف المصدر الذى جاء منه ما فى الكتب والحياة وما
 لقنك الأساتذة إياه . . ؟

قلت : أزعم أنى أعرف .
 قالت : حسبتك أذكى من هذا . . هل تعرف كل شىء ؟
 قلت : وأنت هل تعرفين ؟
 قالت : أكثر منك حتما لأننى أزلية أبدية وأنت طارئ ذاهب . .
 قلت : افتنى إذن فيما لا أعرف له تأويلا . . .
 قالت : لا تفهم فتواى لأن التراب فىك كثير . .
 وأشرق الشمس من وراء حجاب كثيف ودخل إلى الغرفة شعاع
 رقيق ، فصحويت من غفوة لم تطل . وفتحت النافذة . وأرسلت ببصرى
 إلى السماء فوجدت سحبا كثيفة تغطى وجه الشمس إلا قليلا . .

أيهما أقوى ؟

- قالت له : تأخرت عن موعدك . . أنا لا أشغلك . . لا قيمة لي . .
مجرد شيء على هامش حياتك .
قال : العمل . . تأخرت قهراً عنى . . لا بد أن أنجز عملي أولاً . .
— العمل . . العمل ، والعاطفة لا حساب لها عندك . . تلك التي
تحترق ألا تستحق أن تؤجل عملك من أجلها . . ألا تستحق حتى أن
تتركه ، ترمي به إلى جحيم ؟
— إن قيمتي في عملي . . وأنت نفسك أحببتني لأنني عامل ناجح .
قالت : السبب في الحب شيء والحب شيء آخر .
— تعين أنك أحببتني لأنني ناجح في عملي . . وبعد ذلك لا يهمك
عملي . .
— يهمني قلبي وحيي ، أن أشعر أنك لي ، لي . . كلك . . هل
تفهم ؟
— أتغارين من عملي . . تغارين من سبب إعجابك بي . وإذا فقدت
عملي وفقدت نجاحي فهل . .
ولم تدعه يتم جملة ، بل سارعت إلى القول : نعم لن أكرهك
ستزداد قيمتك في عيني سأحبك أكثر وأكثر . .
— تحبين رجلاً فاشلاً في حياته .
— لقد أحببتك وانتهى الأمر . . لن أتحول عنك .
— أنت مخطئة . . إن الحب ككل شيء في الدنيا يتحول ويتغير .
— تعني أنني يمكن أن أكرهك . .
— بل من المؤكد أنك ستفعلين لو أصبحت إنساناً فاشلاً متعطلاً

أقضى وقى أنتظر موعدك أجيء قبله وأنصرف بعده .
 قالت : وأنا لماذا لا أتخلف عن الموعد ، لماذا لا أتأخر عنه ؟ إننى
 أعمل مثلك . . لدى مشاغلي ولدى مستقبل فى عملى .
 — العمل بالنسبة لك ليس كل شىء . . أنا مثلاً لم أحبك لأنك
 ناجحة فى عملك .

— لماذا أحببتى إذن ؟
 قال : لأننى أشعر بالراحة معك . أشعر كأن متاعبى تذوب وأنا
 أنظر إليك . وجهك يعطينى الأمان والابتسام .
 — مجرد دمية ، شىء للزينة . لا يعينك عملى . . لا يعينك أن
 أنجح فيه .
 — قلت لك إننى أحببتك لا من أجل عملك ، ولكن من أجل
 شخصك . . .

— لو كنت فاشلة وعاطلة أفكنت تحببى ؟
 — بالتأكيد يكفى أن أكون أنا ناجحة فى عملى . إن عملك الأساسى
 بالنسبة لى أن تريحينى من متاعبى .
 — أنت متأخر فى أفكارك . . كنت أظن أنك أكثر من هذا تقدماً . .
 — وأنت هل ترين نفسك أكثر تقدماً وأنت تصرين على أن يكون
 الحب مقدماً على العمل ؟
 — لم أقل هذا . . كل ما فى الأمر أننى أرى فى تأخرى عن موعدى
 عدم اهتمام بى .

— وماذا يحملنى على أن أقول لك إننى أحبك ، لا أريد منك شيئاً ،
 وأنت أيضاً لا تريد منى شيئاً . . أنت مكنتية اقتصادياً وأنا مكنت
 اقتصادياً . . إن ما بيتنا حب صريح لا غرض فيه قد يودى إلى الزواج .
 وأحسست بشىء هزها فى عنف ، ولكنها أخفته ، وقالت وكأنها

غير مكرثة : هذا صحيح ولكن . . .
 — ولكن ماذا . . . أنت تفكرين في الحب بالأسلوب القديم . . . امرأة
 تستولى على رجل . . .

— وما هو الحب في نظرك ؟ . . .
 — علاقة متساوية لا استيلاء فيها من طرف على طرف . . . أنت
 تبدلين عواطفك لى لا لأنك تريد أن تتزوجينى . ولكن . . . لأنك
 تشعرين أنى الرجل الذى تترحين إليه .

— وما هو الفرق ؟ . . .
 — فرق كبير . . . التى تريد أن تتزوج لأنها محتاجة إلى الزواج لكى
 يعطيها أماناً من الناحية الاقتصادية غير التى تحب مجردة من هذا الدافع . . .
 الأولى تتغاضى عن كثير من العيوب فى سبيل غرض يعطيها الأمان
 والاستقرار ، وقد لا تكون محبة على الإطلاق ولكنها تمثل دور المحبة . . .
 أما الثانية فتعطى عن اختيار وتشعر بحب حقيقى .
 — لا تزال فى نفسك رواسب قديمة .

— بل أنت التى لا تزال فى نفسها هذه الرواسب . . . أنت تنظرين
 إلى الرجل كأنه مكسب ، صفقة ، لا بد أن تملكه . . . لا بد أن تقصى
 أجنحته حتى لا يطير . . .

— وأنت لست حريصاً على . . . لا يعينك أن أبى أو أن أظير .
 — يعينى أن تبقى باختيارك وليس عن خوف أو حرص على مصلحة
 أو غاية . . . أريد أن تشعرى بأنى الرجل الذى يسعدك .
 — الرجل الذى يسعدنى هو الرجل الذى يضعنى قبل كل شىء ،
 قبل عمله أيضاً .

— رواسب قديمة . . . لا تعارض بين العمل والحب ، كلاهما مقدس
 العمل يجعلنى فى نظرك أقوى كما أنه يجعلك فى نظرى أقوى .

- ليس الحب محتاجاً إلى القوة عند هذا الطرف أو ذاك .
- بل هو محتاج لها كي يعيش ويستمر . . إن المرأة الضعيفة لا تحب حباً حقيقياً . . حبها يكون مشوباً بحاجتها إلى قوة الرجل ، والرجل الضعيف لا يحب هو الآخر حباً حقيقياً، حبه يكون مشوباً حتماً حتى وإن أنكر - بحاجته إلى قوة في المرأة من الناحية التي يأتيه منها الضعف .

الاعتیاد علی العطش

- قالت : دعني وشأني لا تعترض طريقي . .
قال : أنا لا أعترض طريقك . . أنت التي تصنعين . .
سألت : هل دعوتك لمقابلتي ؟ . . أنت الذي فعل .
— ولماذا أجبت دعوتي . . لا بد أنك تريدني ؟
— إرادتي هنا صدى لإرادتك . . ليست لإنشاء مني . . ابتعد عن
طريقي ، أرجوك . . لا أطيق . . لا أقدر ، ارحمني . . دعك مني . .
— ألا تحبيني ؟
— أنت تعرف الجواب ، ولكنني أريد أن أقتل هذه العاطفة . .
لأنها تدمرني . . أكره الحب من غير أمل . .
— وما هو الأمل في الحب ؟ . . الحب نفسه هو الأمل . .
— حتى ولو كان مأساة . . أنا واقعية . أحبك فإما أن أحصل
عليك وأمتلكك وإما أن أنصرف إلى شأني . . وأنت تعرف أن
حبنا من غير أمل . لا تستطيع أن تتزوجني ولا أستطيع أن أتزوجك .
— قد تتغير الظروف . . ما دمتنا نعيش فلا ينبغي أن نفقد الأمل . .
— حينما تتغير الظروف ، أحبك من جديد . .
— هل يمكن أن ينقطع الحب ثم يعود .
— ومن قال إنه سينقطع . . سيختفي في الأعماق .
— سيموت . . .
— كلا لن يموت . . .
— البعد يقتله ، الإهمال يقتله . . إيقاظه بعد ذلك مستحيل . .
— ولماذا نوقظه ؟

- إذا تغيرت الظروف . . .
- لن تتغير . . . أنت لست لى وأنا لست لك . . . إننى أتعذب إذا كنت قريبة من الماء ولا أستطيع الحصول عليه . . . خير لى أن يختفى من أمام ناظرى . . . أن تكون الصحراء لا حدود لها فأعتاد العطش . . .
- العطش يقتل . . .
- ليس دائماً . . . من النباتات ما يعيش على الجفاف . . .
- المطر يرويها من وقت إلى آخر . . .
- سأعيش أنا أيضاً على المطر . . .
- ومتى يسقط ؟ . . .
- حينما أراك مصادفة فى الطريق ، فى حفلة ، فى النادى ، فى اجتماع عائلى .
- وما الفرق ... أنا ألقاك الآن كما لو كنا فى الطريق ... فى حفلة ، فى النادى . . .
- كلا ، الفرق كبير . . . أنا هنا معك وحدى وأنت وحدك معى ..
- الاقتراب يشعل النار .
- وهناك أيضاً اقتراب . . .
- فرق بين الاثنين : هنا أريد أن أمتلكك ولا أستطيع فأموت حسرة ..
- وهناك . . .
- لا أفكر فى امتلاكك لأنك بعيد عني ، الناس بينى وبينك .
- وما شأن الناس بنا ؟
- بل لهم كل الشأن . حواجز تمنع الماء من التدفق ، تمنع النار من الاشتعال . . .
- ونهضت فجأة وقالت مصممة : لن ترانى . . . أعطنى وعداً ألا تطلب لقاتى .

- وإذا لم أستطع الوفاء بالوعد ؟
- تكون إذن عامداً أن تعذبنى . أن ترانى أحترق . . أنت أنانى . .
- لا تحبنى ، ولو كنت لساعدتنى .
- أمرك عجيب . هل الدليل على الحب هو الابتعاد . .
- فى بعض الأحيان . . حينما لا يكون هناك أمل . . أنت تفسد حياتك وحياتى .
- الابتعاد هذا عملية بتر . لا طاقة لى على مشاهدة الدم ينزف بغزارة . . .
- خير من أن يتسلل قطرة قطرة ، فأموت ببطء .

العواطف والتدبير

قالت وهي تفكر : لست أدري ماذا بيني وبينك .. هل هو الحب ؟
هل هو الخوف ؟ هل هو الإعجاب ؟ هل هو التقديس والاحترام ؟
اعتدت أن أفضي إليك بكل ما أحس به .. أحياناً أكرهك . أحياناً
تختلط صورتك في خاطري بصورة أبي .. أحياناً أعجب حتى لأجعلك
في منزلة إله ..

— والآن .. ماذا أنا بالنسبة لك ؟ ..

— حينما مات أبي تصورتك بديلاً عنه .. لعلك تذكر أنني قلت
لك هذا . كنت أحب أبي حتى العبادة . لم أتصور أنه مات . أردت أن
تكون حياتك امتداداً لحياته . كنت سعيدة بك حقاً .

— يخيّل إلي أنك نسيت ، لم تكوني سعيدة معي .. اذكرى .. كثيراً
ما قلت لي إنك تكرهيني .

— لأنني كنت أكره أبي في بعض الأحيان ..

— كيف اتفق الحب حتى العبادة مع الكره ..

— هذا ما كنت أحس به .. كان أبي قاسياً ؟

— وأحببته مع ذلك ؟ ..

— لأنه كان عطوفاً .. كنت أرى فيه الرجولة الكاملة .. مات ..

أنت لا تستحق أن تكون بديلاً عنه .

— منذ لحظة قلت كلاماً آخر .

— ماذا قلت ؟

— نسيت !

— لا تغضب .. أنت تعرفني أكثر من نفسي . ماذا قلت ؟

— قلت : إنك نظرت إلى بعد موت أبيك . كأننى البديل عنه . . .

— والآن لا أراك كذلك . . .

— هكذا فى لحظة ، فى لحظة تتغيرين . . .

— هكذا خلقت ..

— ماذا أنا إذن ؟

— أخافك . . .

— كنت تخافين أباك . . .

— لم تصبح إياه ، أنت الآن شىء آخر . . . أمس تضايقت . . . ذهبت

صورتك كأنى ، وبقيت صورتك كرجل . . . لنفترق ، فهذا أفضل . . .

— نفترق .. هذا أفضل ولكن لماذا لا نكون أصدقاء مثلاً ؟

— هذا ما فكرت فيه . . . قلت لى دائماً إن فى نفسك خليطاً من

المشاعر .

— نختصر بعضها . نهمله . ونستبقى الصداقة . . .

— الأفضل أن نبتعد . . .

— أنت متناقضة .

— لأننى مهزوزة لا أعرف ماذا أريد على التحديد . أنت

لا تفهمنى . . . أنا فى حاجة إليك لكى تساعدنى على فهم نفسى . . .

هل لديك مانع لو صادقت رجلاً آخر ؟

— كلا ، ولكن هل فى حياتك رجل آخر ؟

— أبحث عنه ...

— إن المرأة لا تبحث عن الرجل كما أن الرجل لا يبحث عن المرأة

إنه يقع فى طريقها كما تقع هى فى طريقه .

— من غير تدبير . . .

— التدبير يفسد كل شىء . . .

- ولكن كيف وقعت أنت في طريقى وكيف وقعت أنا في طريقك ؟
- تاريخ طويل . . أنا وأنت . . كلانا . . لم يسع إلى صاحبه .
- وهل في الدنيا شيء يقع من غير سعى . . ؟
- أجمل ما في الدنيا يقع من غير سعى ، يحىء بإرادة عليا ومن قدر يعرف كيف يسير بنا !
- ونقبله من غير مقاومة ؟
- حينما يكون القدر هو الذى يريد ، فماذا تجدى المقاومة ؟
- أنت تتحدث كما لو كنت صوفياً وما عهدتك كذلك .
- علمنى تناقضك أن أكون صوفياً .
- وهل يحىء التصوف من التناقض ؟
- حينما تكون المتناقضة امرأة !
- وحينما يكون رجلاً ؟
- يكون دمه ثقيلاً ، ربما أدى إلى الكفر
- تعنى أن دى خفيف . .
- لم أقل هذا . .
- أنت لا تقول شيئاً ، ولكنك تدير رأسى . .
- ليس أكثر مما تديرين رأسى . .
- إلى أى شيء وصلنا ؟
- ومتى وصلنا إلى شيء ؟ . .

الدمية

قالت له : تحبني كما تحب الدمية . ستحطمها يوماً من الأيام ..
أنت طفل .

وكظم غيظه وقال وكأنه غير مكترث : وأنت ؟
أجابت في تحد : امرأة . .

وسكتت وفي عينها شرر كأنه الحمم . وسكت هو أيضاً في ابتسام
المطمئن وكأنه ينتظر منها تكملة وقالت في تهجم : ألا تنطق ؟
- لست أفهم ماذا تقصدين بقولك إنك امرأة .. هل زعمت أنك
رجل ؟

وضاقت به ولكنها كظمت غيظها ولاذت إلى غريزتها وقالت
كالمستهترة : امرأة . . الحب كل شيء في حياتها . .
- وأنا رجل . .

- لم أفهمك . . تعني أن الحب ليس كل شيء في حياتك .
وتبسم في رفق وقال : ليس إلى هذا الحد . .
- إذن ماذا تعني ؟

- أعني أن نظرتي . إليه تختلف عن نظرتك إليه . .
- ما هو الفرق ؟ . .

- الفرق أنك تريد الاستيلاء على من تحبينه . الحب عندك
غريزة تملك .

- وعندك . . .

- محاولة لإسعاد الغير .

- تعريف جديد . . .

- وما هو التعريف القديم ؟
 — أن يفنى المحب فيمن يحب . .
 — لم نختلف . . .
 — بل اختلفنا . . أنت تنظر إلى كدمية جميلة تتلهى بها بعض الوقت ، فإذا سثمتها ركنتها .
 — هذه هي الحياة .
 واستطار الغضب من عينيها وقالت في إصرار : الحب لا يعرف السأم .
 — تعنين أن يظل الإنسان في حالة حب مستمرة . .
 — هذا هو ما عنيته تماماً . . إننى أكره عمالك ، أكره نجاحك . .
 أكره كل شيء يشغلك عنى .
 ضحكك في ابتسام هادئ وقال : تريدنى دمية في يديك .. مجرد شيء تضعينه في جيبك وتبحثين عن دمية أخرى .
 — ماذا تعنى ؟ . أنت رجل متعب .
 — ومن أجل هذا احتفظت بك حتى الآن . .
 وصرخت كالمجنونة : لا بد أن تخضع أنت أيضاً .
 قال في هدوء : كشفت نفسك . . كشفك الغضب . . أنت غانية .
 واستشارتها الكلمة وأحست أنها أصبحت في يده كاللعبة ، هي التي اعتادت أن يكون الرجال في يدها كاللعبة . وهدأت فجأة . وبلحات مسرعة إلى غريزتها فأنجدتها . . وانهمرت الدموع من عينيها ، ثم تولاهما صمت من اليأس .
 قالت : أنت قاس . . إننى أحبك . . لم أحب أحداً غيرك مثل هذا الحب .
 وأحس أنها تنهات . . كان على وشك أن يقول لها إنك لا تعرفين الحب . . أنت صائدة رجال ولكن فروسية الرجل الفاهم تغلبت عليه



فربت على كتفها في رفق .

* * *

وجمعت السحر كله في عينيها ونظرت إليه في ضعف ونداء . . .
وقالت : اعصرني بين يديك إنني في حاجة إليك... وتردد . كان يشعر
أنها لا تريد الحب ولكن تريد السيطرة ، لا تفهم جمال الحب ولكن
تهم بوحشية التسلط على الرجل . .
وشعرت أن أنوثتها أصابها جرح أليم وهو صامت كالتمثال . وانتفضت
واقفة وفي وجهها تصميم عجيب قالت : أكرهك . . أكرهك . .
أكرهك .

ولم يغضب بل قال في برود : كشفت نفسك مرة أخرى . اعترفي
أنك لا تحبين إلا نفسك . . الرجال بالنسبة لك مجرد مرايا تشاهدين فيها
سحر جمالك وأنوثتك .

صرخت : أنت كاذب . . جبان . . منافق . . لماذا إذن كنت
تقول إنك تحبني . .

— لأنني أحبيتك فعلا . .

— ثم . . .

— لا شيء . . ما زلت أحبك .

— أنت كاذب

— بل أنت . . .

* * *

وقدفته بكتاب كان في يدها ولكنه تحاشى الغضب والكتاب بينهما
تهاوت جالسة وقد التصقت به وعادت دموعها تنهمر ، وفي هذه المرة
كانت تنشج وتتألم من الأعماق . وهدأت قليلا ثم قالت : هل تحبني
حقاً ؟

كان واضحاً أنه أصبح سيد الموقف . . قال : أظن ذلك .
وعادت إليها الثورة ممتزجة بشيء من الذلة تحاول أن تدفعه عن
نفسها : تظن . . . قل إنك متأكد . . قل أى شيء . . قل إنك تحبني
إنني في حاجة إلى رجل قوى . . كل من عرفتهم كانوا دمي صغيرة . .
أنت وحدك جعلتني دمية .
- أو كارهة أنت لذلك ؟
- لست أعرف ولكنني أشعر بحاجتي إليك . .

كل عام وأنت بخير

- قالت : لا تذكرني في غير العيد ، وكنت تذكرني صباح مساء .
قال : وأنت أيضاً لا أسمع صوتك في غير العيد . .
— أعاملك كما تعاملني . . .
— لم تكوني هكذا فيما مضى . .
— أنت المسئول . . إن حبنا مات .
— وهل إذا مات الحب ، يكون هناك أحد مسئول . . وكيف نشأ . .
هل كنت أنت المسئولة أم أنا المسئول ؟
وتأملت كأنها تسترجع الذكريات ثم قالت : الأيام تراكت ،
لست أرى شيئاً واضحاً .
— حتى البداية لن تبقى لها قداسة الذكريات . .
وقالت وكأنها تعتذر عن النسيان أو كأنها تحاول الهروب : كل عام
وأنت بخير .
— أرايت . . مجرد كلمة لا حرارة فيها .
— وأين ذهبت الحرارة ؟
— لست أعرف إلا أنها ذهبت .
— أنت المسئول . . .
— رجعنا إلى المسئوليات . . إنما تكون المسئوليات في مسائل العقل .
والحب ليس مسألة عقلية . ينشأ من حيث لا ندري ويذهب إلى حيث
لا ندري . .
— يموت ؟ . .
— وماذا تسمين ما بيننا الآن . . ؟

- وسكنت ثم أحالت عليه السؤال : وماذا تسميه أنت ؟
- بقية ضئيلة من حرارة بردت.. وسيأتى يوم أنسى أنا وتنسين أنت حتى التهئة بالعيد . .
- هذا مستحيل ، سأظل أذكرك إلى أن أموت . .
- قلت هذا من قبل . . طالما سمعت منك أن حبنا هو الخلود . . .
- يا سيلتى . . الزمن أقوى منا جميعاً .
- هل الزمن هو الذى يقتل الحب أم هو الإهمال ؟ . .
- حينما يكون الحب قوياً لا يكون هناك مجال للإهمال . . حتى الإهمال يعجز عنه .
- ولكن الإهمال يضعفه . . .
- الجسم القوى لا تتأبه الأمراض ، فإذا بدأت الأمراض كان ذلك دليلاً على أن الجسم ضعيف .
- بسبب المرض . . .
- والمرض لا يجيء إلا بسبب ضعف الجسم . . رأيت أنه دور . .
- سبب ونتيجة نتيجة وسبب . . ولكن ما الفائدة الآن من هذا الكلام . .
- ألا يمكن أن نرجع إليه . . إلى الحب ؟
- ما أحسب أننا نستطيع . . إنه نشأ بغير إرادة منا وانتهى بغير إرادة منا ، كيف نستطيع أن نعيده بإرادة وتنظيم ، بنخطة من الحطط . . . هل هو برنامج اقتصادى للتنمية .
- وضحكت وقالت : أنت هكذا تسخر من كل شىء . .
- شكراً لك . . . كل عام وأنت بخير .
- وأنت بخير . . . لا تنسى . .
- فى العيد القادم إن شاء الله .

الغربة عن الناس

- قالت له : منذ مدة طويلة لم أحدثك . . هل تذكرني ؟
قال : أذكر الصوت . . .
— أنت ذكي . . منذ سنة ونصف السنة لم أتحدث إليك .
— إنه ليس الذكاء ، إنه الذاكرة . . ومع ذلك أشعر أنها بدأت
تخون ، بدأت تنسى ، ويأويل الذى ينسى . . .
— كلا إن فى الحياة أشياء كثيرة يحسن أن تشطب ، أن تنسى . .
— إننى أكره النسيان . كل ما مر فى حياتى أحبه حتى ولو كان
مأساة ، ولذلك أكره أن أنسى .
— أنا على النقيض منك أحب أن أنسى ، أن أشطب اللوح كله ،
وأبدأ من جديد .
— ليس فى الدنيا إنسان يبدأ من جديد حتى ولا الطفل . . إنه يولد
تكملة لسلسلة طويلة قديمة تصله بأجداده وأجداد أجداده ، تصله
بالكون كله ، بالبداية المجهولة ، إنه استمرار وليس بداية .
— هذه فلسفة ، وأنا كما تعرف على قدر حالى . .
— أدع الفلسفة فإنها فعلا مزعجة ، تجعل الرؤوس تدور ، وأسأل
ما الذى حجبك هذا الوقت الطويل . . ؟
— قد لا تصدق . كنت أشعر أنى غريبة عن الناس ، متطفلة ،
ثقيلة ، ليس عليك وحدك ولكن على كل الناس ، ألم تحس ذات يوم
بمثل هذا الشعور ؟
— شعور الغربة عن الناس . . .
— ليست الغربة عن الناس وحدهم ولكن عن الدنيا كلها .

— تعنين الانفصال التام عن الحياة ، إنه شعور قاتل . .
 — نعم هو قاتل . لقد عشت فيه فترة طويلة . لست أعرف من أين
 جاءنى . هذا الانفصال يتطلب أولاً نسيان كل شيء عن الماضى وقد
 نسيته . . .

وسكنت لحظة ثم قالت : هل تراه مبادئ جنون .
 أجاب : ليس هكذا . ربما كان رغبة فى الانعزال والتأمل وإعادة
 النظر فى الحياة وموقفها منك وموقفك منها . .
 — أنت تعرف قصة خطيبي وقد حدثتك عنها . كنت أنتظر عودته
 من السفر فى وله وجنون . وكان انقطاع خطاباتاه ولو فترة قصيرة يكاد
 يقتلنى . . لقد جاء . . عاد منذ شهور وكنت فى قمة الإحساس بالغربة
 عن كل شيء وكل إنسان فى الحياة . لقد قطعت كل علاقة لى به وشعرت
 بالارتياح أن فعلت . شعرت أن قيداً كان يربطنى بالناس قد انقطع .
 — ولكن كل شيء كان قد تهيأ لإتمام الزواج ، ولم يكن ينقص
 إلا عودته . .

— تماماً ولكنه حينها عاد كنت أنا قد ابتعدت عن الناس والأشياء .
 كان على استعداد أن يغير دينه من أجلى ، وساءلت نفسى : إن الذى
 يغير دينه يمكن أن يغير كل شيء فيه . . يمكن أن يصبح إنساناً آخر
 غير من أعرفه ويصبح غريباً عني ولن أشعر حيثئذ بالاستقرار الذى أنا
 فى حاجة إليه . إن أعظم شيء تنشده المرأة هو استقرار النفس والإحساس
 أن الرجل الذى تختاره هو الرجل الذى يمكن أن يحمىها ويحفظها وتشعر
 فى جواره بالأمان . هل تتصور أننى حتى أطلب رقم تليفونك ظلمت
 مترددة فترة طويلة أتساءل لماذا أثقل عليه ولماذا أكلمه وما هى الفائدة من
 الكلام وزاد إحساسى بأننى غريبة عن الناس والأشياء ولم أجد حلاً لهذا
 الشعور القاتل إلا بالتفكير فى أن أعمل .

قال مقاطعاً : هذا هو العلاج ، إن الفراغ هو القاتل .
وتابعت كلامها : والآن منذ بدأت أعمل استرددت نفسى شيئاً
فشيئاً أخذت أستعيد صلاتى بصديقتى . بدأت أعود إلى الحياة . هل
تتصور أن شعوراً قاسياً يسيطر على ويكاد يوحى إلى بأتنى كمن كانت
على سفر وعادت ؟

— أعتقد أنك ستسترددين اهتمامك بالحياة والناس من خلال العمل ،
ولكن لماذا كان هذا الانفصال عن الحياة . . .

— صدقنى لا أستطيع أن أجيب عن هذا السؤال ، ربما لأن حياتى
كانت قاسية ربما لأن شعور القلق المر والخوف الشديد من الناس ، وهو
قلق وخوف قديمان ، قد ارتدا إلى أقصى مما ارتدا فى أى وقت من
الأوقات . . هل ترى أننى على وشك الجنون .

— كلا لا تخافى شيئاً . إن العمل سيغرقك فى دوامته ويحول بينك
وبين شطحات الخيال .

وتريثت برهة ثم قالت : أدعك وأعود إلى قوقعتى فأنا لا أشعر
بالطمأنينة إلا فى داخلها . . .

— إن الطمأنينة هنا ليست الطمأنينة المنشودة ، والأصدق أن تقولى
الهروب .

— وما هو الفرق بين الهروب والطمأنينة . . النتيجة واحدة . .
— كلا ، الهروب مصدره الخوف والقوقعة تحميك من الخوف ولكنها
لا تزيله . أما الطمأنينة فحالة من الصحة مصدرها الثقة بالنفس والقدرة
على المواجهة والاحتمال . والغربة التى أحسست بها ليست إلا قوقعة احتميت
بها من الضعف والخوف والقلق .

— سأفكر فى هذا الكلام فإنه يستحق فعلاً التفكير ، والآن طاب
مساؤك .

خالصين ! . .

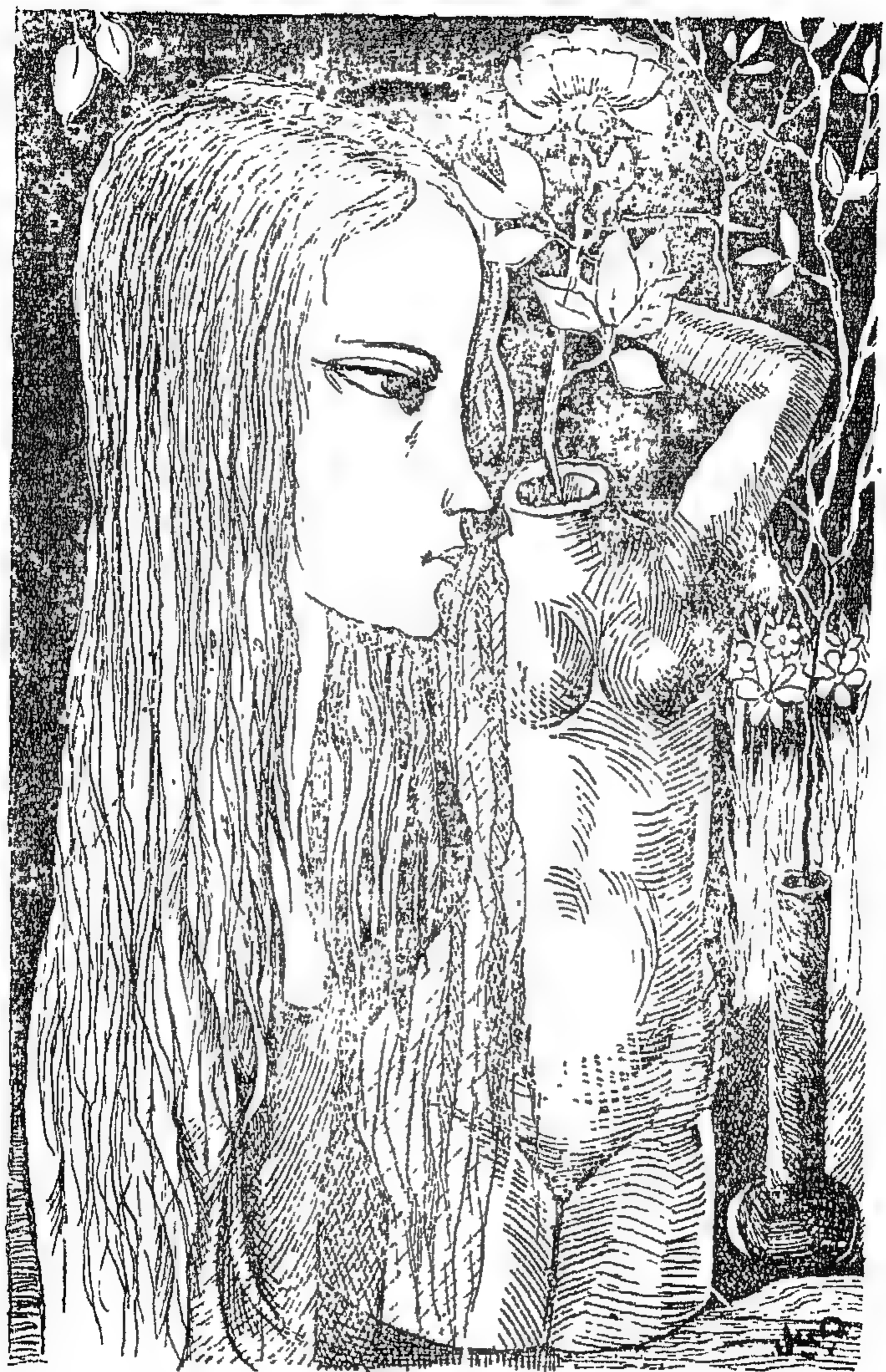
- قالت له : كان هناك عشرون رجلاً على استعداد أن يتزوجوني .
سأل : ثم ماذا حدث ؟ . .
- خبت ، وقعت فيك ، تزوجتك ففسدت حياتي ، ضاع مستقبلي .
— مستقبلك : ماذا كنت تتظرين أن يكون ؟ . .
- خيراً مما هو معك
- هل أنت واثقة ؟ . من يدري لعلك كنت تكونين أسوأ حالا . .
- هذا غير ممكن . . أنا جوهرة ، لا يوجد مثلي في كل بنات القاهرة .
— كل زوجة تقول هذا .
- اسكت . . أنت لا تعرف ماذا تفعل الزوجات .
- وأنت . . هل تعرفين ؟
- أسمع . .
- تسمعين فقط !
- واستشاطت غضباً : ماذا تريد أن تقول . . .
- لا شيء . . مجرد خاطر
- أنت رجل تلدغ كالشعبان . .
- وأنت ؟
- بريئة ساذجة ، لا أعرف « اللوع »
- هذا ظاهر . .
- أنت تسخر مني . . ألم أقل إنك تتكلم وكأنك تلدغ . .
- أنا أتكلم في براءة مثلك تماماً . .
- ومن أين جاءتك البراعة ؟

- من نفس المصدر الذى جاءتك منه . .
- وأنت تتوصل ؟ . .
- سنبدأ فى طولة اللسان . . .
- أنت هو طويل اللسان . .
- وأنت ؟
- مؤدبة غاية الأدب .
- لا يشكر نفسه إلا إبليس . .
- من قال ذلك ؟
- إبليس . .
- وأنت تتحدث باسمه ! . سمعته ! فيك جزء من إبليس .
- وأنت . . لا بد أنك ملاك . . هذا ما تريد أن تقوليه . . أنت
تقولينه دائماً . . .
- وهل تشك فى هذا ؟
- الملاك لا يتحدث كما تتحدثين . . أنت فيك جزء من إبليس .
- خير منك على كل حال ، أنت إبليس نفسه . .
- الرجل مثل المرأة مرتين ، لا ضرر فى هذا . .
- تعرف كيف تتلاعب بالألفاظ . . يظهر أن إبليس دمه خفيف .
- والملاك دمه ثقيل . .
- رجعت لطولة اللسان . . .
- هل تعتقدين أنك ملاك . . مسكينة . .
- مسكينة لماذا ؟ . .
- وهم يسيطر عليك . . لا يوجد ملاك فى هذه الدنيا . .
- أنا الملاك . .

- لا أحب أن أعيش مع الملائكة . . لا أستطيع .
- أنت لا تستحقني . .
- وأنت أيضاً لا تستحقيني . . خالصين . .

الطريق والغابة

- قالت لصاحبتها : إني أتعجل الأيام ، مرورها السريع يسعدني ،
وإبطاؤها يزهدني . . .
- ودهشت صاحبتها وهي تقول : أما أنا فعلى النقيض أكره مرور
الأيام . . . لأنها تتوقف .
- عندك ما تسعدين به وما تتمنينه . . . إن الحياة لا قيمة لها من غير
هدف .
- ليس لي هدف إلا أن أعيش ، أن أستنشق عمري كله قطرة
قطرة . . . لا أتعجل شيئاً . . . أكره الآلة السريعة ، وتشجيني الحركة
البطيئة .
- تحبين أيامك وعمرك ؟ . . .
- أعبدهما . . . أكره أن يمر يوم من غير متعة للعقل أو الفكر أو
الجسد .
- وأيها أكثر عندك متعة الجسد أو متعة الفكر ؟
- كلاهما ضروري ، نحن من غير الفكر حيوانات ، ومن غير
الجسد مخلوقات شاذة . . .
- أما أنا فأكره الجسد . . . هل تتصورين أنني تمنيت لو كنت روحاً
محضاً من غير هذا الوعاء .
- تعنين الجسد ؟
- هذا هو ما أعنيه . . . إنني أكرهه . . . أنا جميلة ، كل من يحبني
أحس أنه يحبني لجسدي الذي كرهته . . . تمنيت من يحبني لروحي . . .
روحي وحدها . . .



قالت صاحبها : لنفرض الروح كالزهرة .. أفليس مما يزيد جمالها
أن توضع في إناء دقيق الصنع ، يمنحها الماء الذى يحياها .. الزهرة من غير
إناء تموت ، والإناء من غير الزهرة أصم لا جمال فيه .

- بعض الناس يعنيه الإناء ، ويغمض بصره عن الزهرة ..
- وبعض الناس يحب الزهرة والإناء .. وهذا هو الإنسان السوى ..
- ولكن الجسد يشيخ .. والإناء يتشقق وينكسر ..
- والزهرة أيضاً تشيخ ..
- كلا .. الروح لا تشيخ .

— هذه أوهام يا صاحبتى .. الناموس واحد ، بداية ونهاية لكل

شئ ..

— وماذا بين البداية والنهاية ؟ لا شئ .. إذا كان لا بد من النهاية
فلماذا البداية ؟ .. ومن أجل هذا أتعجل الأيام ، أتعجل النهاية ، لأنها
الختام للمأساة ..

— تعنين الحياة .. هل تنظرين إليها كأنها مأساة ؟

— أنت ماذا ترين فيها ؟

— جمالا أحب أن يبقى ، وإشراقاً أرجو ألا يغيب ..

— ولكنه يغيب حتماً ..

— ومن هنا أتعلق به ..

— تتعلقين بشئ تعرفين حتماً أنه زائل !

— لا يعنينى المستقبل ، أنا أعيش الحاضر فقط .. أحبه أو أكرهه

على حد سواء ، ولكننى أعيشه فى كل الأحوال ، أستنشقه بملء رثى ..

— الحب مثلاً ، ألا يتغير ؟ ألا يموت ؟ وما قيمة شئ يتغير ومن

المحتم أن يموت ؟

— إنه يتغير أو يموت فى المستقبل ولكنه فى الحاضر كائن حى ،

وأنا كما قلت لك أعيش الحاضر ، لأننى لا أملك غيرة . .
 وطافت على وجه الفتاة سحابة من الحزن وقالت : ولكننى على النقيض
 منك لا أنظر إلى الحاضر مستقلاً عن المستقبل . . النظرة إلى المستقبل
 تلون الحاضر أمام عيني . لأننى تعسة . . ومن أجل ذلك أتعجل الأيام
 أريد النهاية ، الموت . . .

— وما قبله . . لماذا لا تستمتعين به ؟
 — لأن شبحه . . . شبح النهاية يجثم عليه . . .
 — ولكنه فى الحاضر ليس موجوداً . . لماذا تفكرين فى شيء غير
 موجود وتتجاهلين الكائن الموجود .

— لأن الوجود والعدم مقترنان ، الطرفان ظاهران أمامى ، البداية
 والنهاية . ولا يمكن أن أفصل بينهما وهما كل متصل . . هل للحاضر كيان
 منفصل عن المستقبل ؟ . . هل للنبات المزدهر كيان منفصل عن الغاية
 التى يسير إليها وهى الذبول أو الحصاد ؟ . .
 — نعم له كيان مستقل . . الشباب له لمساته وأفكاره وانتفاضاته التى
 تختلف تماماً عن الكهولة والشيخوخة . . الحياة لها مقوماتها الخاصة بها
 والمختلفة تماماً عن الموت . . .

— ولكن الحياة طريق إلى الموت . والحاضر طريق إلى المستقبل ،
 كيف تريدن منى أن أسير فى الطريق دون أن أفكر فى الغاية . . الحب
 مثلاً شيء جميل ، وقد أحببت بكل ما فى قلبى وكيانى ، ثم كففت
 نفسى عنه لأننى أحسست أنه وهم ، سراب . .

— هل خانك من أحبيته ؟
 — لم أثق فيه . . تعذبت لاعتقادي أن كل شيء له نهاية وأن بقاء
 أى شيء على حاله مستحيل ، والعاطفة داخلة فى هذا الناموس ليس
 أمامى فى الحياة يقين وما يبدو كذلك يظلمه الشك وتقتله النهاية المحتومة . .

— ولماذا لم تسعدى نفسك بالجزء المستيقن منه ؟
 — اليقين لا يتجزأ ، والحب الذى أعتقد أنه سيحول يوماً لا يمكن أن
 يصبح يقيناً فى يوم من الأيام . . .
 وهزت صاحبها رأسها وقالت : الشمس عند المشرق مثلاً ، أليست
 جميلة صاعدة . . ألا ترين فيها معانى يمكن أن تسعدك إلى أن تبلغ
 الغروب . . . أليست يقيناً واضحاً . . هل يفسده أنها ستغرب ؟
 وسكتت الفتاة قليلاً ، وأشرق فى نفسها الأمل ، ولكنها قالت : إننى
 أكره النهايات ؟

— تريدن الخلود إذن ؟
 — لست أدري ماذا أريد . . الخلود نفسه لو منحته سيكون ثقيلاً
 لا يطاق .

— يا صاحبتى تعلمى أن تحبى الحياة كما هى ، إنها طريق لا
 بداية ونهاية . . هذا صحيح ، ولكن الطريق نفسه هو المتعة ، بكل ما
 فيه من مشقة وهناء . من تعثر وانطلق . . لا تسألينى عن الغاية . .
 أسألينى عن الطريق . . الحياة طريق والموت نهاية ، الحب طريق والتحول
 نهاية . . الصباح المشرق طريق ، والغروب الأسيف نهاية . . الطريق
 أملكه وهو الحاضر ، والنهاية لا أملكها وهى المستقبل . . لماذا أدع ما
 أملكه إلى لا ما أملكه . .

صفة زواج

قالت له : تعيش هكذا ممزقاً ، حاولت أن أجمعك إلى بعضك ففشلت . .

قال : لأنك لا تحبينى . . إن الحب قادر على المعجزات . . نظرت إليه بعين نصف مفتوحة وقالت كأنها تسخر : حسبت أنك الأقوى .

قال فى تصميم : وأنا الأقوى فعلاً . . أنت أمامى ضئيلة . وصرخت : أنا . . أنت الممزق وكأنك جملة من الناس . سأل فى سكون الواثق : وهل التمزيق دليل الضعف أم دليل القوة . — لا تسألنى ، بل اسأل الناس . . . — أنا لا أسأل الناس ، لأننى أعرفهم بنفسى . . فقط أردت أن أجرب تأثيرك فى . .

— كنت تمثل ؟

— وماذا يمنع ؟

— تكذب ؟

— هذا ليس كذباً . . إنه نوع من الاختبار . أردت أن أعرف المرأة التى كنت أنوى اتخاذها شريكة لى . .

— كنت . . إذن عدلت . .

— أفكر . هذا .

— هكذا تقول بكل جرأة . .

— ولماذا لا أقول ؟ كانت الفترة الماضية اختباراً . . أنت تعرفين هذا .

— ولكننى لم أحاول أن أختبرك .

— يكتفى أننى فعلت . . .
 — أنت أنانى . . .
 — كنت أكون لو لم أفعل هذا . تصورى لو كنا تزوجنا . . الكارثة
 ستقع عليك قبلى .

— ولكننى أحبك . .
 قال وهو ينظر بعين فيها شعاع فاحص : هل أنت متأكدة ؟
 أصرت فى تحد : كل التأكيد . . .
 سأل فى شبه سخرية : لماذا ضقت بما سميتك الشخصية الممزقة . .
 — لأننى لا أحبها . .

— حتى ولو كان صاحبها هو الرجل الذى تحببته .
 — أحببت فيه الشخصية المتكاملة .
 — أنت لا تحببته إذن ، تحبين شيئاً معيناً فى شخصه . .
 — أليس هذا هو الحب ؟

قال فى هدوء : كلا ، هذا ليس حباً . الحب شيء آخر ، ينشأ
 بين شخصين وليس بين شيئين فى شخصين . . الذى يحب الجمال فى
 فتاته ، والذى يحب الاتزان فى فتاتها ، كل منهما لا يحب الآخر .
 الفتاة تحب الاتزان فى الرجل والفتى يحب الجمال فى المرأة .

— وأنت ألم تكن تحبنى . . ألم تقل هذا أكثر من مرة . . لماذا
 إذن لا تريد أن تتزوجنى . . أنا أجادلك بدعواك . . فرقت بين حب
 الأشخاص وحب الأشياء . . كنت تحب شخصى أليس كذلك .

— بالتأكيد . . .
 — حسن والآن . .
 — ما زلت أحبك ، وسأظل أحبك . .

— ومع ذلك لا تريد أن تتزوجني .
 — هذا صحيح . . الزواج يتطلب حب أشياء قبل أن يكون حب
 أشخاص . في الزواج كل من الفتى والفتاة يتطلب أشياء . . .
 قالت في حلق وسخرية : أشياء لا أشخاص . . يا لفيلسوف آخر
 الزمان !

— قولي ما تشائين . . لا تغضبي ، أنصتي في هدوء . لو اتفق حب
 الأشخاص مع حب الأشياء الضرورية للزواج ، تمت أعظم رابطة مقدسة
 في الوجود . . أما إذا كان الخيار بين الحب الشخصي والحب الشئى في
 الزواج فإن الأخير أقرب أن يبلغ به النجاح .
 — أنت لا تشترط الحب للزواج إذن .

— أشرت توافر أشياء محبوبة من كلا الطرفين . . الزواج ليس حباً
 خالصاً . . إنه عمر طويل فيه احتكاك وممارسة وأزمات وأمراض . . طريقه
 ليس ورود الحب وحدها .

— ولكن الحب يذلل العقبات . .
 — حسن ، إنى أوافقك على هذا النظر ولكن هل تسمحين لى أن
 أطبقه على ما كان بينى وبينك . . لماذا لم يذلل حبك العقبات . . لماذا
 ضقت بى حينما خيل إليك أن شخصيتى منقسمة أو أنى متناقض . .
 وردت فى غير اهتمام : ولماذا لم يذلل حبك العقبات . . لماذا ضقت
 بى لما رأيته أضيق بك . .

— أرايت ؟ إن مثل هذه المجادلات تقتل الزواج ، ولا أريد أن أدخل
 بالزواج فى تيه من هذه المجادلات . .
 — وأين الحب ؟

— الحب شىء قائم بذاته ، له حياته الخاصة ، جزء منه يكفى فى
 الزواج ، أما كله فلا يحتمله الزواج . .

- أنت تتحدث عن صفقة ولا تتحدث عن زواج .
- وهل الزواج إلا صفقة ؟ . .
- وتولتها دهشة مفزعة وقالت متسائلة : صفقة ؟ . .
- ولماذا تنزعجين . . ألا تسمعين أن هناك زواجا ناجحا وزواجا
- فاشلا . . إنه صفقة .
- ولكن الصفقة لا تكون إلا في التجارة .
- هذا تفسير ضيق . . الصفقة موجودة في كل شيء . . وحياتنا
- نفسها ليست إلا صفقة خاسرة أو كاسبة .
- ونهضت كالأسد المثخن بالجراح وقالت وهي منصرفة : أنت لا تصلح
- للزواج . . أنا الذى أرفضك . . هذا هو خاتمك .
- وقلقت به فى وجهه ، بينما ظل ساكناً لا يتحرك .

أمومة إذن

قالت له : هل تعرف مدى ما أعطيتني من سعادة . إنك لا تتصور هذا ولن تستطيعه إلا إذا عرفت طبيعة المرأة .
قال : بل أعرفه ، منحتك الطمأنينة وهناء القلب .
— كلا . . . شيئاً آخر أعظم .
— أعطيتك خاطري وفكري . .
— كلا ، شيئاً آخر أعظم . . أنضجت عواطفى ، خلصتني من
الأنانية .

— تعنين أنك الآن لا تشعرين بالأنانية . . .
— بالنسبة لك ، لا أشعر . . .
— تشعرين بها بالنسبة للآخرين . .
— ليس عندي آخرون . . أنت لا تفهم . .
— غي ، كما تعرفين . . .
— كلا ، لست غيباً وإكثك لا تعرف المرأة . . هل تتصور أن شعورى
لك يختلط فيه شعور الأم نحو ابنها . .
— أمومة إذن . . .

— نعم فى بعض صورها . . أنا لا أنتظر منك أن يستغرفك الشعور
مثلى وأغفر لك هذا ، أغفره بشعور الأم . . إننى أشعر أننى أكبر من
سنى بكثير . أحياناً حينما تضع رأسك على صدرى أحس بطمأنينة الأم
حينما يعود ابنها . . هل فهمت ؟
— حتى الآن لم أفهم تماماً .

— الأم حينما يتركها ابنها ألا تنتظر عودته ؟ قد يتنكر لها ، قد لا يفكر فيها مثلما تفكر فيه ، قد لا يكون مستعداً للتضحية في سبيلها كما هي مستعدة دائماً للتضحية في سبيله . . هل يؤثر هذا أو ذاك على شعورها نحوه وحبها له . كلا . هذا هو أنا . . قد لا تفكر في مثلما أفكر فيك ، قد يكون شعورك أقل ، قد تنساني في بعض الأوقات وربما في كل الأوقات ، ولكنني لا أنساك أبداً ولا أعتب عليك أنك تنساني . . أليس هذا شعور الأم . . لا تتزعج ولا تتعجب . . قلت لك إنك أنضجت عواطفى وخلصتها من شعور الأنانية . فيما مضى حينما بدأت أعرفك طغى شعور الأنانية على كل شيء . كنت أريد امتلاكك وقد ضايقتك كثيراً . . كلام أضايقتك ، بل تعذبت وحدى . كنت أبكى وأنت بعيد . . أو غائب ، كنت أبكى لمجرد الشعور أنك قد لا تحمل لى مثل العاطفة التى أحملها لك . كنت أنانية ، أعد عليك الأنفاس والخطوات .

— أنت مخطئة . كان شعورى لك دائماً قوياً وعميقاً مثل شعورك وربما أقوى وأعمق .

— لا تحاول أن تقنعنى بشيء . أنا أتحدث الآن عن نفسى من داخلى . أنا أقول الحقيقة . لقد حاولت دائماً أن تكون لطيفاً . لم تحاول أن تجرحنى فى شعورى ، أنا أعرفك ، أنت إنسان رقيق .
— ولكن . . .

— أرجوك . . . دعنى أكشف لك كل شيء . أنت لم تحبنى . وكان هذا يضاقنى ، بل يعذبنى . . أما الآن فقد نضجت عواطفى ، سما حبنى على الأنانية وبلغ أفقاً وسیعاً رفيعاً . يكفى أن تكون معى حتى أشعر بسعادة لا مثيل لها . ومن أجل ذلك قلت إنك لا تتصور مدى ما تمنحنى من السعادة ، وأنا عارفة أننى لا أعطيك مثلاً .

— كلا ، بل تعطينى أكثر منها . . .

— قلت إنك لا تعرف مدى السعادة التى تعطينى إياها فكيف تقول
إننى أعطيك أكثر منها . أنت تنقلنى من هذا الوجود كله . هل تتصور
هذا ولكنه الواقع . الأم حينما تحتضن ابنها بماذا تشعر ؟ وهل تفكر حينئذ
فيما إذا كان هذا الابن يحبها كفاء ما تحبه أم أقل ؟ إنها لا تفكر فى
هذا . كل ما يعنىها أنها قريرة هائلة أنه معها بين أحضانها . . كل ما
يعنىها أن يكون سعيداً فى حياته بها أو غيرها ، فى بيتها أو فى بيت آخر .
— هذا تصوير يغض عن عواطفى نحوك . . .

— كلا إنه لا يغض من شيء ، إنه يرتفع عن كل شيء سأظل
أحبك إذا كنت معى أو بعيداً عنى ، إذا كنت لى أو لم تكن ، إذا
فكرت فى أو لم تفكر . . إذا جئت لترانى أو لم تجئ . كل الذى أنا
واثقة منه أننى سأكون طوعك إذا أردتنى .

* * *

و بدت عليه الدهشة وحاول أن يعترض فقالت له : سكوناً يا طفلى
إن أملك فى سعادة لا حد لها . لقد نضجت غواطفها ، لم تعد تحبك حباً
مجنوناً أنانياً ، بل أصبح حباً عميقاً اختلط بكيانها كله . إنها تشعر
أنك فى داخلها . . إنها تصلى من أجلك وتخاطب الله فى شأنك . . هو
وحده الذى يعرف سرها ونجواها .

دع الصحائف بيضاء

قالت له : اسمح لي أن أقص عليك قصتي . عشت حياتي موفقة ،
كأن الحظ يسير في ركابي . لم أجرب فترة المراهقة ، فقد تزوجت من
طبيب وأنا في الرابعة عشرة من عمري . كنت كالخوخة الطازجة ، جمالي
هادئ ، أما قوامي فيدير الرؤوس . كنت أبداً لحسن صحتي أكبر من
عمري . آمنت أن الحب يأتي بعد الزواج . . عشت بعيداً عن زحام القاهرة
في أحد مراكز مديرية البحيرة . عشقت الطبيعة والهدوء وعشت سعيدة
حتى مات زوجي فتفرغت لتربية أولادي ، وكانوا هم أحبائي وكل مالي في
هذه الدنيا . كنت لا أعرف إلا اسمي وأتق العواطف . كانت عندي
ينبوعاً لا ينضب ، لم يلقنها لي أحد ، بل كانت راسخة في أعماقي .

أنا جاوزت الأربعين متدبنة أؤدي فروض الله جميعاً . حججت
إلى بيته الحرام منذ سنوات . وكم سألته أن يجنبني الزلل وشغلت نفسي
بأولادي ونجحت كأم كما نجحت من قبل كزوجة .

كنا نجتمع نحن أفراد الأسرة فتداعبني كل من أخواتي قائلة
اجلسي إلى جوارى لكي يعود شبابي . أما الصديقات فيقلن إن جمالي طبيعي
بدون أصباغ فهو هبة الخالق عز وجل .

أتى الشيطان في زي أحد أقاربي وحاطني بعنايته طول السهرة وهمس
قائلاً : « اخرجي من القوقعة . لقد أدبت واجبك نحو أولادك وبتى واجبك
نحو نفسك . . تمتعي بالحياة » .

وارتعت . . .

وبعد أيام دق جرس التليفون وكان هو . . كان يسأل : هل من

خدمة ، أنا تحت أمرك . وانسابت الكلمات هامة .. أنت تظلمين نفسك ليس لنا خيار في الحب . إنه كالإعصار . لقد أحبتك وتمنيتك منذ الطفولة .

وأصبحت في صراع مر . حرت في أمرى ، أنا التى صنت نفسى تديناً وخوفاً من التقاليد . مشيت على الصراط وأنكرت الحب والعاطفة طول حياتى وشاء الله أن يعوضنى بأولادى وآمنت بأن الحرمان له ثمن . وطلبنى مرات وتعددت المحاولات ، وتصادف ذات مرة أن كانت عندى إحدى صديقتائى وعرض علينا أن نصحبه فى نزهة فاستنكرت الأمر وقلت له : هذا من المحظورات ، دع الصحائف بيضاء .

قال : يا ابنة الحال كنت أظن أن كل النساء مدن مفتوحة ولكنى عرفت أنه يوجد صنف كالقلعة المنيعة لا ينال إلا على يد المأذون — ما رأيك فى الزواج . . أنا تعب فى حياتى وأنشد الصدر الحنون . . أنا أعلم يا صديقتى أنك عفيفة ، تقية ، اسمى وثروتى تحت قدميك .

فقلت ساخرة : أنا متزوجة من الصيدلى والمحامى (أقصد أولادى) . قال : من نكد الدنيا أنه لم تفهمنى امرأة سواك . تعرفين الكلمة قبل أن ينطق بها لسانى ، وإنا لمتشابهان فى الميول والطباع . سيحاسبك الله لأن فى مقدورك إسعاد إنسان فى أشد الحاجة إليك فلا تغلقى باب الأمل فى وجهى .

واشتد الصراع وإذا بى أرى نفسى شخصين : شخصاً عاقلاً وإلى جانبه حيوان ثائر ، الزواج ، الدين يقره ولكن هناك العرف والأسرة العريقة التى وضعتنى فى القمة من حيث العقل والاتزان . . بلحأت إلى صديقتى أسأها المشورة .

قالت : كفالك تضييعاً للفرص ، إنه يشغل منصباً كبيراً فهو مثال الرجولة الكاملة .

قلت : لا يمكن أن يكون.

ودخل ابني ورأيت فيه سمات أبيه ، قامته وهيئته . . كان يستعد للسفر إلى إنجلترا لكي يتم دراسته فعانقته وقبلته أكثر من كل يوم وإذا بشقيقه الطالب بالكلية الحربية يقبل رأسي قائلاً أعطني نقوداً فقد نفذ مصروفي . وأعطيته عن طيب خاطر فتهلل قائلاً أنت أحسن أم في الدنيا .

وعندما أتى المساء جلست في الشرفة المظلة على النيل ، وكان القمر يلقي ضوءاً عليه كأنه الزيتيق الرجراج واستعدت بالله من ضلالي وشعرت بسكينة عجيبة بعد أن اتخذت قرارى وانتصرت الأمومة « وابتهلت إلى الله : احفظنى يا رب ، فأنا ضعيفة من تراب » .

الحقيقة المؤلمة

قالت له : لماذا تريد أن تشدني من الجانب الروحي وتصل بي إلى الجانب المادى . إن الحب المعبر حب مجرد لا غرض له . . لا ينبغي أن تدخل فيه المادة . . الجسم مادة . . الحب وحده يؤدي إلى السعادة فلماذا تفسده بالجسد ؟

كنت سعيدة أمس لأننى أفكر فيك ، لأننى أحبك . لأنك بعيد عني . عند ما أتكلم بينى وبين نفسى أجد مادة للحديث تدوم ساعات وساعات . لكننى حين أتكلم معك أشعر كأن المادة دخلت بينى وبينك . لأننى أحب الموت . . هل تعرف لماذا ؟ لأنه سيحرمنى من الجسد فتنتطلق روحى لكى تحقق كل ما أحلم به معك . كنت أنظر إلى السماء فى الليلة الماضية وأعجبني نجمان فى السماء متجاوران . تمنيت لو كنت أنا وأنت هذين النجمين . إنهما لن يفترقا . تمنيت مثلاً لو كنا طائرين . . . ولكننى أحياناً أشعر كأن المادة تدخل فى حى . . إننى أتمنى مثلاً إذا جلست إلى جانبك أن أمسك يدك . إن هذا العمل مادى فلماذا أحبه إذن ؟ ولكن تفسيره عندى أنه رمز على أننى لا أريد أن أفرق عنك . . إنه معنى روحى أيضاً .

ومهما يكن الكلام . فإننى أشعر أنه لا يعبر عن إحساسى نحوك . لابد أن يكون هناك أداة أخرى للتعبير . والموسيقى نفسها تعجز . إن ما فى نفسى عجيب . . عجيب إلى حد أننى لا أستطيع أن أصفه . لأننى أحسه . ومن هنا كان تفكيرى فيك ، وأنا وحدى أقوى ألف مرة مما هو وأنا أتكلم أو أنصت إليك أو للموسيقى .

ولولا أننى محكومة بالتقاليد لهويت بقوة إلى الحياة الحرة ، أعيش مع الإنسان الذى أحبه . إن العاطفة عندى يجب أن تكون مجردة من المنفعة ، والزواج منفعة . أى إرضاء جسدى أو غير جسدى هو منفعة . هل عرفت نوع الحب الذى أشعر به . لئننى بدأت أكره جسدى لأننى أشعر أحياناً أنه موجود وأن له رغبات تمنيت لو أتخلص منها . . . إنه الحقيقة المؤلمة فى حياتى . . وأنا أضغطه وأكبته وأحاول أن أسمو به وأنجح أحياناً وحينئذ أكون أسعد إنسان بالحب وأحياناً ينتصر وحينئذ أكون أشقى إنسان لأننى أشعر أننى خنت الحب . .

النار المقدسة

قالت : إن الشك يساورها في حب الرجل الذي تحبه. تحس وهي في أوج سعادتها وهو يبادلها عاطفة من أعماق العواطف ، بدبيب من الشك قاتل ، يجعلها تفرع . فيختلط في نفسها ضوء السعادة الغامر بهذه الغول التي تؤرقها أتراه يخذعها ؟ أتراه يعطف عليها ؟ أترى ما في قلبه حنين إنسان أم حب رجل ؟ إن فكرة العطف عليها تقتلها .

وأرقت ليلتها تسأل وتبحث وتراجع وتحلل كل كلمة قالها وقالتها . وكل حركة صدرت عنه وعنهما . ما تفسيرها ؟ عطف .. حب .. خداع .. عبث ؟

وأوشك الفجر أن يطلع . ومع خيوطه الرقيقة أشرق على نفسها فيض من السكون ، وآوت إلى خياله ، كأنها تستغفره مما أساءت وأسلفت .

ولكن الشك يعود ، حتى أصبح رفيق حياتها ، رفيق هوائها . . ! أتراه عنصراً لازماً للحب ، بل أتراه عنصراً لازماً للحياة ؟ وحاولت أن تبدده وتسكن إلى طمأنينة دائمة ولكنها لم تنجح . وظلت طمأنينتها ومضات بين موج من الشك ، ولحاحات في خاطر معذب .

* * *

ولنا لنحاول أن نعد في الحياة ما لا يمكن أن يكون من طبيعة الحياة ، ونحاول أن نجعل في الحب ما لا يمكن أن يكون من طبيعة الحب .

الطمأنينة الدائمة في الحياة معناها أن عنصر الحركة فيها قد انتهى ، وهو لن يكون إلا بالموت . وما دمنا نحس بالحياة ونعيشها كما ينبغي أن نعيش في الحياة فإن الشك يجب أن يكون معها ، لكي يثيرنا ويزعجنا

ويدفعنا إلى السعى والحركة ابتغاء اليقين والطأئينة . وهذا هو جوهر الحياة .
أن نسعى ، أن نهذف ، أن نأمل .

ولو اطمأن الإنسان إلى مستقبله ، ولم يساوره الشك فيه ، لفقد العنصر الأول الذى يجعل الحياة ذات طعم .

ولو اطمأن إلى عمله وتفرقه فيه ، ولم يساوره الشك فى تقديره لأصابه الركود والجمود ولم يتقدم .

ولو اطمأن إلى أن صحته ستدوم ، ما أحس بلذة استبقائها ، وما جعله الشك يحس بهذه اللذة .

والأمر كذلك فى الحب . فيوم يطمئن الإنسان إلى أنه حقيقة قائمة لا سبيل إلى الشك فيها فقد بدأ يفقد الحرص عليه ، واللهفة من أجله .

ولعل ما تقوله الأغاني من أن « الشك يحى الغرام » أصدق تعبير موجز عن هذا الذى أريد أن قوله . إن الطمأنينة فى الحب معناها أنه بدأ يدوى ويضمحل ويتدهور لكى يبلغ نهايته . .

والذى يجب يجب أن يطمئن إلى الشك ويجفل من الاطمئنان المطلق ، فالشك مظهر الحرص ، وقد يكون من خيالات لا حقيقة لها ، ولكن تغذيه عاطفة من طبيعتها ألا تهدأ . . فهى دائمة القلق والخوف والشك ، دائمة الإنعام على صاحبها بفترات من الطمأنينة تمنحه أجمل ما فى الحياة من صبر ورضاء وهناء . ولا سبيل إلى هذه الفترات ما لم ندفع ثمنها شكاً وقلقاً وخوفاً .

وانظر إلى الإنسان فى نهاية عمره : إن فلسفة الطمأنينة تبرز على نفسه ، ولا يصبح شىء مما يسعى له الناس يستهويه ، لا الحب ، ولا المال ولا الشهرة ولا المجد ولا السعى لبلوغ أهداف جديدة ، ولا القلق

ولا الخوف . . إنها مرحلة التعلى عن الحياة استعداداً لطمأنينة الموت .
إن العاطفة الحية الملهبة يسرى فيها الشك كالنار المقدسة التي تطهرها
وتزيدها توهجاً ، فإذا فقدت الشك وبزغت عليها الطمأنينة فقد بدأت
تخبو وأذنت بالمغيب . .

الحِجَافَةُ وَالْهَافِيَةُ

كتبت إليه تقول : ذدت نفسي عنك خمس سنوات كاملة ، كنت على الحِجَافَةِ فارتددت إلى الوراء خوف السقوط ، لا تقل إنني نسيتك ، فإن النسيان لا وجود له في الحياة ، وما يسميه الناس نسياناً ليس إلا سقوط الشيء في هوة بعيدة عن الذاكرة الواعية ، إن المادة لا تفنى ، وكذلك الأصوات والذكريات والحوادث ، ولو نشط العلم أكثر قليلاً لكشف عن كل شيء وقع في هذه الدنيا منذ كانت الدنيا . . هذا الجو المحيط بنا ، هذا الأثير الملفوف حول العالم ، كم فيه من أصوات وأحاديث وخطب ومؤامرات وأكاذيب وحقائق . . إنها لم تذهب وإن كان أبطالها قد ذهبوا .

ولكن ما لي أتفلسف . . أردت أن أقول لك إنني لم أنس شيئاً عبر سنوات خمس . لم تصبح في قلبي اللفظة التي كانت فيه ، ولم يصبح في خاطري الخيال الذي كان يملأه ، ولكن بقي في قلبي وخاطري أنني عشت منذ خمس سنوات حياة مليئة خصبة بالدموع والضحكات . . أنا الآن لا أضحك ولا أبكي ، تزوجت ، أحب زوجي لأنه يحبني ، أرايت كيف يحكمنا الواقع ، وكيف تتسرب الأحلام عبر الأيام ، فإذا هي سراب ؟

حاذرت أن أخطئ قبل أن أتزوج ، وها أنذا الآن أكثر حذراً من الخطيئة وقد قتلتها خمس سنوات كاملة . . لماذا تحركت وملتني على أن أكتب لك ؟ . . لا أعرف ولكن الذي أعرفه حتماً أنني لن أراك ولن أكتب لك مرة أخرى . . إنني أدين نفسي وأحاسبها بمقاييس دقيقة ، حتى

خواطرى لم تصبح ملكى . . حتى خلجات قلبى ، حتى نظراتى وهمساتى .
 إن الحب ليس هو كل شىء ، إن فى الحياة أشياء أخرى رائعة
 وجميلة ، إننى سعيدة ، والحب يمكن تربيته وتنشئته ويمكن الاعتياد
 عليه ، وقد دربت نفسى على أن أحب زوجى ، وأعتقد أننى أحبته ،
 إننى لا أشعر باللهفة القديمة ، ولكننى أشعر بجمال الصحبة وألفة السير
 فى طريق واحد إلى مصير واحد ، ستقول إننى حشت بعهدى ، وقد
 يكون هذا صحيحاً عند النظر السريع ، ولكن تأمل معى الحياة ، إن
 الحب ليس شعوراً خالداً ، وهو على كل حال ليس شعوراً مقطوع الصلة
 بواقع الحياة التى يعيشها الإنسان .

وقد تغيرت تغيراً كبيراً بعد أن تزوجت ، لم أعد تلك الفتاة الخيالية
 الوردية الأحلام . تمنيت لو بقيت كما كنت ، ولكن ماذا أستطيع أن
 أفعل ، والحياة نفسها قد حولت كل شىء وأحاطته بإطار جديد . .
 طفل ، لا . . بل طفلان . . أنت لم تتزوج بعد ، ولذلك يكون من
 العبث أن أحدثك عما هو الطفل حينما يبحى . . أرجوك أن تتزوج وأرجو
 أن يكون لك طفل ، سترى أن كل شىء قد تغير أمامك . . . إن الأيام
 حينما تمر قريبة الشبه بالأيام التى صنعت الذكريات ، لا تمحوها بل
 تزيدها عمقاً ، ولكنها حينما تمر متغيرة فى الزمان والمكان والظروف تصبح
 كأنها أكوام تراكم لتخفى الوجه القديم .

لا تنزعج يا صاحبي . . ليست هذه فلسفة امرأة متزوجة تريد أن
 تدود عن نفسها الحنين إلى ذكريات عزيزة ، ولكنها تجربة أذكر لك
 الآن نتائجها . . لا أحد يقتنع بالكلام ، ولكن كل إنسان يقتنع
 بالتجربة .

ولا أنكر أنى أشعر لك بالحنين ، ولكن هل الحنين هو الحب . .
 إننى أحب عمري قبل أن أتزوج ، كما أحب أيامى التى أعيشها الآن ،
 لكل مرحلة سحرها ، ولو خيرت بينهما ، لا اخترت أن أعيش كليهما ،
 أنت لا تزال تعيش فى المرحلة الأولى ، ولذلك ستنكر كلامى الآن ،
 ستقول إنها امرأة شاخ قلبها أو امرأة كفرت بالحب ، كلا ، لم أكفر
 به . . إنه لا يزال حتى اليوم غذائى ، ولكنه تحول إلى شىء فى دى
 يمنحنى البهجة حينما أكتب ، ويمنحنى القوة حينما أضعف ، لا يعينى
 ما إذا كنت تحببى الآن أم لا ، لأننى لا أعيش الحب معك الآن ،
 ولكن أعيشه حينما كانت اللفة بيننا هى الرباط ، وكانت الدموع هى
 أجمل ما فى الحياة . .

قلت لك إن دموى جفت ، والحياة من غير دموع أشبه بالزرع
 من غير ماء . . . تمنيت لو بكيت ولكن لماذا أبكى ؟ زوجى يحببى
 ويحسن معاملتى ، كل شىء يسير رتياً كأنه مرسوم . . . الملل هو السيد
 فى هذا البيت ، والملل هدوء قاتل . . . ولكنه هدوء على كل حال . .
 تفت الآن فقط إلى ثورة من ثوراتك التى كانت تكاد تفتك بكل شىء ،
 تفت إليك وأنت تلطمنى فأظل أبكى إلى أن تثوب إلى رشادك فتعود
 لكى تصالحنى .

إن الحياة العاصفة جميلة . . جميلة جداً . . تفت أيضاً إليك وأنت
 تغلق الباب فى وجهى فأظل أطرقه إلى أن تفتحه وأنت متجههم . . تفت
 إلى نفسى وأنا أرجوك كى ترضى . .

سأتوقف عن الكتابة . . إن الحافة التى هربت منها منذ خمس
 سنوات أرانى أبلغها الآن ، تسالت الذكريات مرة أخرى وأوشكت أن
 تصبح كائناً حياً . . كلا . . . سأنهى خطابى . . لن أكتب لك مرة

أخرى . . في هذه المرة أوشكت أن أقرب من الحافة ، من يدري لو
كتبت مرة أخرى أن تستهويني فأطيل الوقوف عليها . . وأنت تعرف ما هي
الحافة لامرأة مثلى . .

هربت منها منذ خمس سنوات وكنت وحدي ، وأنا جديرة أن أهرب
منها عشرين مرة وأنا الآن زوجة سعيدة لرجل يحبني وأم لطفلين أحبهما ...
تزوج يا صاحبي حتى لا تبقى بيننا حافة ولا هاوية .

حماقة أخرى

- قالت له : الاستقرار في البيت . . فلماذا لا تتزوج ؟
 — أخشى أن أفقد القدر اليسير من الاستقرار الذي أعيش فيه .
 — وهل الوحدة استقرار ؟
 — الإنسان وحده متركز ومنعزل . ولكنه مع زوجة مستقر ومشتت .
 — كيف يتفق الاستقرار والتشتت ؟
 — سأحمل مسئولية إنسان آخر وهذا هو التشتت وسيهيئ لي هذا الإنسان بيتاً وهذا هو الاستقرار .
- قالت له : جبان إذن . . تخشى تحمل المسئولية !
 — لست جباناً ولكنه الخوف من المستقبل . .
 — وما هو الفرق بين الخوف والجبن ، كلاهما يصدر عن معين واحد .
- كلا ، الجبن ينطوي على الخوف حتماً ، ولكن الخوف ليس من المحتم أن يكون سببه الجبن .
 — ماذا يكون سببه إذن ؟
 — سببه الإشفاق من أن أفقد حريتي .
 — حرية السهر والعبث ، حرية التحرر من المسئولية . . . حرية الخوف من أن يزداد ارتباطك بالمجتمع والتحامك بالحياة . . . حرية الخوف من أن يكون لك أولاد . . تكلم بصراحة . .
 وسكت برهة يتأمل في قلق ثم قال : وما هو البديل عن هذه الحريات جميعاً ؟

قالت : البديل عنها نقيضها : حمل المسئولية والاستمتاع بالأسرة والأولاد والمجتمع . . . أن تصبح إنساناً لك علاقات وعلبك التزامات .

— أكره الالتمزامات ، أحب الانطلاق من غير قيود . .

— أنت الآن غير مقيد فهل أنت سعيد ؟

سكت مرة أخرى برهة أطول ثم تردد قبل أن يقول : لست سعيداً تماماً . .

— ما ضرك إذن أن تستبدل بحياتك حياة أخرى مهما تكن فإنها

لن تجعل مركزك أسوأ . .

— من يدرينى ، لعلها تفعل... كلا إننى أفضل ما أعرفه على تعاسته

— إذا كانت فيه تعاسة — على ما لا أعرفه ولو كانت فيه السعادة ..

— جبان إذن . . وهو ما أنكرته منذ قليل . .

وتوقف برهة ثم قال : أنت متزوجة منذ أمد طويل ، ممعتك دائمة

الشكوى ، ساخطة كثيرة السخط ، وسمعت زوجك شاكياً ساخطاً كثير الشكوى والسخط . . أنتما مثل أمامى لا يشجع . .

— الشكوى بعض لوازم الحياة ، والسخط دافع من دوافعها

ولو كان سخطى أنا أو زوجى جوهرى لا انفصلنا منذ أمد طويل .

— سمعت أنكما تنويان . .

— لقد انتوينا الانفصال عشرين مرة ولم نتفصل . . لا تصدق

شكاوى المتزوجين . .

— لماذا يشكون إذن ؟

— طبع الإنسان على الشكوى . . أنت لست متزوجاً ومع ذلك

فأنت دائم للشكوى . . .

— خير أن أشكو من نفسي ولنفسى من أن أشكو من غيرى لنفسي وللناس .

— أنت مع غيرك مجتمع ، ومع نفسك منعزل . والمجتمع خير من المنعزل .

— من قال ذلك ؟ . .

— قاله الإنسان منذ وجد . . . كان وحيداً فسعى إلى أليف . . . كان فرداً فألف جماعة ، كان جماعة فصنع قبيلة ، وكان قبيلة فصنع دولة ، وكان دولة فاتحد مع دول أخرى . . إنها غريزة يا سيدى ، لا تسألنى ما فائدتها ولكن اسأل نفسك لماذا وجدت الحياة . . ولماذا نموت . . ؟ أسئلة لن يعرف إجابتها أحد .

ضحك وهو يقول : قرنت الزواج بالالغاز التى لم يعرف لها الإنسان حتى اليوم حلاً !

ضحكت هى الأخرى وقالت : صدقنى إنه لغز . . وهل الحياة إلا ألغاز ، وهل نحن فيها إلا لكي نرتاد ألغازها ، نحاول حلها . . . لماذا ذهب الإنسان إلى القمر ، أليس هذا منه محاولة لحل لغز ؟

قهقه ضاحكاً وقال : من لغز الزواج هكذا ، من غير تمهيد ، إلى لغز القمر . . أنت أستاذة فى العلوم ، هل لديك كتاب علمى عن الزواج . . أقصد عن لغز الزواج . .

— أعطيك عشرات الكتب ولكنها لن تحل لك اللغز . .

— لماذا كتبها أصحابها إذن ؟

— محاولات ؟ . . إن كل ما يصنعه الإنسان فى الحياة محاولات لحل ألغازها ، لعله يصل فى النهاية إلى السعادة . .

— بعد عشرات الألوف من السنين لم يصل إلى السعادة . . هل يطمع أن ينجح ؟

وهنا دخل زوجها مثقلاً بحمل ضخم من الكتب ، هو الآخر أستاذ علوم ، وقال باسماء : فم كنتم تتجادلان ؟ . . .

قالت الزوجة : لا أعرف كيف أحدد الموضوع بالضبط .

قال : سمعت كلمة السعادة . . هل كانت هي الموضوع ؟

قال المرشح للزواج : كلمة وردت خطأ . . كان الحديث عن الغاز وحلها . .

وقالت الزوجة : كنت أحاول إقناعه بأن يتزوج .

— وهل اقتنع ؟

— أوشك .

وهنا صرخ المرشح للزواج قائلاً : لم أقنع ولن أقنع . . . لا العلم أقنعي ولا الواقع .

قال الزوج : عيبك يا صاحبي أنك تسرف في الاعتماد على العلم وتسرف في البحث والتأمل . . ألم ترتكب في حياتك حماقة ؟ . .

— ارتكبت الكثير . .

— أضف إليها حماقة أخرى . . لن تندم كثيراً . . الحياة نفسها

حماقة كبرى ، فإذا تتوقع من جزئياتها أن تكون ؟

وسوسة شيطان

قالت وفي عينها دمة حائرة : هل يمكن أن أقضي الحياة هكذا .
 امرأة في ربيع العمر محجوزة بين الأركان . لقد اقتربت الأعياد . الجميع
 يستعدون لحفلاتها ، الموسيقى والصخب والسجائر والمرح . . . كلا ، لا بد
 أن أعيش . إنني لم أذق الخمر . . لم أرقص ، تعلمته ولكنني لم أمارسه .
 زوجي رجل محافظ ، فكيف أصنع وتقاليد أسرتي تقف على صدري
 كالحجر الثقيل . وأنا لا ينقصني المال ، أريد أن أقفز وأجري وأمرح
 بين الحدائق والصحاري والجبال على السواء ، يتابعني رجل أدونحه وأنا أراه
 يتلظى رغبة . . . لقد شهدت الآن فيلماً في السينما . . أريد أن أحيا هذه
 الحياة ، القبلات التي تعصر الكيان وتهز القلب والجسم والفؤاد ، الهمس
 الذي كأنه ينبع من الحنان .

كلا . . . لن أرضى بهذه الحياة ، لن أريق وجودي قطرة قطرة
 في حرمان مر وعذاب لا نهاية له . أنت لا تعرف من أنا ولذلك أنكلم
 بصراحة . . لا يخذلك ما تراه من مظاهر . اسألني وأنا أقول لك شعور
 المرأة ، سألي الدعوات التي جاءتني لعيد الميلاد ورأس السنة . سأرقص ،
 سأدخن ، سأشرب ، سأعيش ليلة في العمر . . لن يهمني شيء . . زوجي ،
 أسرتي ، تقاليدى ، سمعتي . . مخافات أشد نكراً من سخافة وجودنا . .
 أولادى هل وجدت من أجلهم أو وجدوا من أجلى . . وهل لي كيان
 مستقل عنهم ، أم أنهم وأنا كيان واحد ؟ . .

لماذا أحجز أنا ويخرج الآخرون . لماذا يكون بيتي في كآبة الظلام
 وبيوت الآخرين في بهجة النور ؟ . . لماذا ؟ لماذا ؟ وأنا لا أزال شابة

في ربيع العمر واكتمال النضج .. إني لأنظر إلى ما وهبني الله من جمال
وأكاد أكفربه .. لماذا أغدق على ما لا فائدة منه ؟ جمال بين الجدران
محرم عليه النور .. زهرة تموت في الأكمام .. بسيمات لم تعرف طريقها
إلى الشفاه ، وضحكات ماتت قبل أن تولد وأحزان عاشت دون أن تولد .

كلا ، إنها وسوسة الشيطان . بيتي في الظلام أشرف من بيوت
الآخرين في بهجة النور .. أولادي ، أسرتي ، زوجي .. كلا ..
إنهم أعز عندي من نفسي .. سأطوى ضلوعي على أساي .. كلا ،
ليس لي أسى .. والأعياد ، الرقص ، المرح ، الجري .. أتمناها ،
إنها جميلة ، إنها الحياة .. كلا ، إنها حياة الفارغين الذين لا شرف لهم ،
الشرف ، ماذا هو ؟ لا ... لا ... لا .. إنها وسوسة شيطان ،
الشرف هو كل شيء .

مشيئة الله

قالت له وهي تلف ذراعها حول عنقه : حدثني . . تكلم . . تكلم في كل شيء . أشعرتني أنني إنسانة كفاء لك . . إنك لا تنظر إلى شيء آخر غير جسدي . . هل أنا دمية وجدت فقط لكي تتلهم بها ؟ إنني أضيق بنفسي كلما ظننت أن جسدي وحده هو المقدمة والشفيع إليك . وسكت وهو ينظر في عينيها . كان صفائهما مشعاً والضياء المنبعث منهما خليطاً من العتب والخوف والقلق . واستطردت تتحدث إليه : لماذا أنت ساكت ؟

قال : تحدثي أنت ، إنني أقرب شخصيتك . أحب أن أسمعك . أنت مخطئة إذا ظننت أن جسدي هو الذي يربطني إليك . تربطني إليك روحك ؛ ابتسام عينيك ، صفاء هذا الوجه الذي ألمس فيه يد الله . إنك لا تعرفين كم تأسرتني إطباقه هاتين العينين فأرى في أحلامهما أجمل الرؤى . أشعر أنني ألمح معك طيوف الهناء والنعم . أتريدين أن أحدثك في السياسة والأدب والاقتصاد ومعارك الحرب ، بالله ألا ما أرحتني منها ؟ ألا تريدين أن تكوني روضاً رفافاً بالابتسام ، وزهراً يشدو بنغم من الجنة ؟ أتريدين أن تجعلي حياتي كلها سياسة وأدباً واقتصاداً وحرباً ؟ ألا يكفيك أنك الواحة وسط الصحراء والنجم المتألق في ليل حالك الظلام . . أنت مخطئة إذا ظننت أن ما بيني وبينك جسداً . . كلا إن الأجساد كثيرة ، ومتعتها أرخص المتع التي في الدنيا . إنك تمنحيني سلام النفس والقلب وهدوء الصدر والباطن . . أريد أن أنسى وأنا معك أن الدنيا فيها شر وصراع وجسد وتنافس وقوى وضعيف ، أريد أن أحس أن كل ما فيها هناء وخير وجمال وزهر وابتسام وعيون في عمق الأبد والأزل معاً . . إنك وحدك دنيا بأسرها لماذا تريدين أن أحدثك عن دنيا غيرها ؟



ونظرت إليه بعين فيها بريق من العرفان وأرخت أهدابها ووضعت رأسها على صدره وقالت تحدثه وكأنها تحلم : إذن أنا شئ مهم في حياتك . . حسبت أنني تافهة لا أصلح إلا للزينة وقضاء فترة من الوقت الجميل ثم لا شئ بعد ذلك . ترى هل أزور خاطرك وأنت مشغول بمهامك الكثيرة . . هل يضطرب قلبك أحياناً بذكرى . . إنك تعيش معي دوماً . المحك في كل شئ حولى . إذا تحدثت أو سافرت أو أقمت أو حزنت أو فرحت فأنت هناك دائماً ولكن أنا بالنسبة إليك . . ماذا أكون ؟ أخشى لا أكون سوى شئ يصلح لأوقات الفراغ . .

طوى يديه حول أجفانها وقال لها : أغمضى عينيك . . ماذا ترين ؟ أجابت : أراك .

وقال لها : افتحى عينيك . . ماذا ترين ؟ أجابت : أراك . .

قال : هل يظن أحد وأنت مغمضة العينين أنك ترينى . . هكذا أنا لعلنى أبدو وأنا مشغول كأننى لا أرى ما هو أمامى . ولكن الإنسان ينظر ويرى ما فى نفسه ، ينظر ويرى بقلبه . إنك قد تفتحين عينيك وأمامك عشرة أشخاص فلا ترينهم بينما ترين شخصاً آخر ليس معك . . إن العمل والجهد والضنى وكل ما يضطرب به من سعى وصراع وقلق ونحن نتسابق من أجل الشهرة أو المال أو السمعة الحسنة ليس هو حياتنا . . إن حياتنا الحقيقية تعيش فى داخلنا . وأنت الحياة . إذا كنت موجودة نظرت إليك فإذا لم تكونى موجودة نظرت إليك بقلبي . . إنه ينتظرك . . إن حياتى انتظار طويل وأنا أشغل نفسى بالعمل حتى أحتمله ، هل فهمت ؟



وكانت عيناها مغمضتين ويدها تلفان كتفيه وسقط رأسها دون وعي منها على صدره وبدت كأنها نائمة ولكنها استيقظت .. وفتحت عينيها ولم تتكلم . نظرت إليه فرأى في عينيها بريقاً لم يشهد مثله .

قال لها : إنني خائف منك . . إن ما في عينيك حب لا أحتمله .
 قالت : لأنني أحسست الآن أنني شيء في حياتك .. إن كل ما يعذبني أن أكون مجرد دمية للتسلية واللغو . . أما الآن .. الآن ..
 ماذا أقول لك . . لقد رفعتني ، أسعدتني . . إنني أعبدك .
 سأها : أتريد أن أحدثك في السياسة ؟ . .

قالت : لا تحدثني في شيء انظر إلي . . إنني أقرأ في عينيك الآن كل شيء . . أحسست أنني في داخلك . كل ما تعرفه أعرفه أنا بغير حديث . اقترب مني . . أريد أن ألمس وجهك وأضع يدي على فمك الذي أسعدني وعلى قلبك الذي أضاء نور الحب في كيائي . . إن الجسد في يضعف ويضعف والروح يقوى ويقوى . لمحات من نسيم علوي ترفعي إلى السماء وأنت معي . . هل ترى هذه المركبة الفضائية وهي تنساب فوق السحاب . . السحاب الأبيض الرقيق الذي يتبدد ليجتمع ويجتمع ليتبدد . . الذي يضيء ويظلم ويسير ويقف إلى ما لا نهاية وإلى لا غاية . . لأنه خالد في رحلة لا تنتهي . . لا تقل لي إن الليل يمر والنهار ينتهي . . لا تقل لي إن الدنيا فيها موت بل فيها خلود . . لا تقل إن حيي فيه جسد فان ولكن قل إن فيه روحاً خالدة . . جسدي ، قلبي ، كيائي ، أنا كلي ملك لك . . ضمنني إلى صدرك بعنف . . عنف شديد . كما أن قلبي فني فيك ، أريد أن يفني جسدي فيك . . كنت قد كرهت جسدي لأنني حسبت أنك تحبه وحده أما الآن فقد أحبيته لأنك تحبني أنا . .

وقال وهو يعيث بأناملها : وهل هناك حب للجسد من غير الروح ؟
 أجابت : حسبت ذلك فكرهته ..

قال : أتكرهن منحة أنعم الله بها عليك ؟

قالت : المنحة هي الروح . .

قال : والجسد هو الوعاء . .

قالت : وإذا مات الجسد ؟

قال : يسترد الله وديعته .

قالت : وتحبك روحى .

قال : ونخلد معاً

قالت : إذن أنا أحبك روحاً وجسداً . إنها مشيئة الله خالق

الروح والجسد

في أرض الهيكل

جلست إليه . وكأنها عند قدمي كاهن . كان ذبول الخوف يشرق
خافتاً من عينيها ورجفة الهم تجعل شفيتها تضطربان . وجعلت تنظر
إليه في وجوم صامت وصمت واجم ورابه منها هذا الصمت فعنده بها
مرح حلو وإشراق باسم وصوت فيه عرائس المنى والأحلام
وقالت وكأنها تتحدث من وراء ظلال الأعمدة في هيكل : أتحنني
من أجل جسدي ؟

قال : كلا .

قالت : أتحنني من أجل روحي ؟

قال : كلا .

قالت : أتحنني لأنك تحب الخطيئة ؟

قال : كلا .

قالت : أتحنني لأنني أحبك ؟

قال : كلا .

قالت : أتحنني لأنني أخلص لك ؟

قال : كلا .

قالت : إذن لماذا تحبني ؟

قال : لأنك أنت .

قالت : هل تعرفني ؟ . . .

قال : ما حاجتي أن أعرفك ؟ إن قلبي ينبض حين يراك . عيني

تدمع حين أحس الحزن في قلبك . أشعر بك في كياني روحاً ونسماً
وجسماً ، فضيلة وخطيئة .

قالت : دعني اعترف لك إذن . لا أستطيع أن أخفي عنك شيئاً .
 في أوقات أراك الكاهن الذي يجب أن أعترف له . . في أوقات أراك
 الحبيب الذي أغرق همي في صدره الحنون . وفي أوقات أراك الرب الذي
 أهرب الدخول في جنته وأنا مخطئة فأصلي وكأنني أدخل محراباً مطهراً . .
 في أوقات أراك الشيطان ، في أوقات أراك الملاك . وأنت في كل حال الملجأ
 الذي أشعر فيه بالطمأنينة من الخوف والتطهر من الذنب . لست أدري
 كيف حدث هذا ؟ ما من إنسان أستطيع أن أعترف له بخطيئتي إلا أنت .
 كل إنسان سيحتقرني . إن الناس منافقون . كلهم صنعوا من الخطيئة
 يشربونها صباح مساء ويعيشون فيها وتعيش معهم . ولكنهم إذا سمعوا عن
 خطيئة الآخرين هزوا رؤوسهم واستعاذوا بالله من الشيطان الرجيم .

لقد أعطيتك عهداً أشهدت عليه ربي أن تكون وحدك هواي : لم
 تطلبه مني . ولم تفرح له . قلت إنك تكره العهود والمواثيق ، وتؤثر بساطة
 النفس وضعفها على ادعاء القوة وتحدي الإغواء وسألتك حينئذ ،
 ما هو الشرف قلت ، لست أعرفه . وما من أحد في الدنيا يعرفه . كل
 إنسان يتحدث عن الأشرار الآخرين ، وهؤلاء الآخرون لا وجود لهم ،
 ما من أحد يعترف بأنه شرير .

وسألتك حينئذ : وهل أنت شرير أجبت : نعم ، في بعض الأحيان
 أنا إنسان .

« أتقبل مني الآن أن أقول لك إنني شريرة . لقد أعطيتك عهداً
 ولا بد أن أفى . ما من أحد ملأ قلبي كما فعلت ولكن هل رأيت إلى السباح
 يريد أن يجرب مهارته بين الأمواج المتلاطمة ؟ هل رأيت إلى من اجتمعت
 له الثروة يريد أن يجرب الفقر ؟ رأيت إلى من منحه الله الإيمان يريد
 أن يتلظى بنار الكفر ؟ إنها النفس الإنسانية ، هذا الجوهر العجيب ، الذي
 لا يستقر ولا يهدأ لأنه خلق من تطلع وقلق .

لم أصنع شيئاً . ولكننى استمعت إلى الغزل واستطبتته . أحسست بدبيب من الشعور عجيب وأطلت لمن غازلونى فى حبال المنى ، لم أ منع ، لم أصد ، ولم أفرح ، ولم أحزن ، هل أحبيت أحداً منهم ؟ لا أستطيع أن أقول لك ، سأروى لك قصة كل منهم ، ستقول إننى غازية ليل ، فتاة مغامرة لا تعرف الحب ، ولكن تعرف العيب ، كلا ، إننى أنثى ، أردت أن أدخر فى شبابه كل التجارب ، وكما قلت لك ، كنت أشبه بالسباح يعرف أن صحرة النجاة قريبة منه ، فى يده بين جوانحه فى ضميره فى كيانه ، ما من بأس عليه إذن لو ذهب يطارد الموج والموج يطارده وهو مطمئن أنه إذا أوشك على الغرق وجد الملجأ الأمين الذى يعصمه منه ، كنت أنت هذا الملجأ الأمين

» كنت أخطئ لكى أروى لك خطئى ، كنت أخطئ لأننى إنسان لا بد أن يخطئ وأعترف لك أننى أخطأت عامدة ، كنت أريد أن أعرف الرجال قال : وهل عرفتهم ؟

قالت : هكذا تسأل بكل بساطة . . ألم أثر غيرتك بهذا الكلام ؟ قال : الغيرة تثور فى القلب الهش الصغير الذى يطلب فى الناس أن يكونوا ملائكة . لا أنت ولا أنا ولا أحد من الناس يمكن أن يكون ملاكاً . الخطيئة هى خبزنا اليومي ، لقد ابتسمت حينما بدلت عهدك لى ، لأننى كنت أعرف أنك لن تصونى العهد ، لا لأنك فتاة شريرة . . لكن لأنك إنسان .

قالت : أفهم من هذا أنك تخطئ أيضاً .

قال : أنا إنسان .

وغامت فى وجهها الحلو سحابة من القلق والندم وانحدرت دمعتان على وجنتيها ، وقالت : غطنى بصدرك ارحمنى بقوتك من ضعفى ، كلا ،

كلا ، إننى لا أحببك ، أريد الرجل الذى يمزقنى غيظاً ، ويقلب الأرض
إذا أحس أن إنساناً آخر يشاركه فى :

وهدأت قليلاً : وأشرقت بسمة الدعة وسط دهوعها وشدت على كتفيه
بيديها وقالت كيف أريد من الملجأ الأمين الذى يعصمنى أن يمزقنى من
الغيظ أو الندم ، أنا الآن فى أرض الهيكل وبين يدي الإله .

الصمت والكلام

سألته أن يفضي بعواطفه . . . أن يتكلم أن يقول كل شيء . كان صمته يورقها . . كانت أشبه بموسى لم ترضه معجزات ربه الذى اصطفاه فقال : ربى كلمنى حتى يطمئن قلبى . . ولكنه ظل صامتا .

قال بينه وبين نفسه : إذا لم تكن تفهم نبض القلب وتحسه . . . إذا لم تكن تفهم إشراقة الوجه وصوت الشعاع المنبعث من العين ورجفة اليد ولمسها فهل هى مستطبعة أن تفهم الكلام وتؤمن به . . .

الكلام ، ما أكثر ما يخدع ، إن الألفاظ نملكها ، نستطيع أن نديرها . كيف نشاء إنها أرخص متاعنا ، وأقل ما وهبنا الله اتصالاً بالقلب والروح . إن العقل يدخل فى اختيارها ، والوقت الذى يمر بين قيام التفكير فى الكلام والنطق به كاف كى يحوله إلى ما يريد العقل ، ويريد الظن ويريد التدبير ، وكثيراً ما كان الصمت أبلغ من الكلام . ومن العواطف ما يشل اللسان ، وفى أروع الملاحظات التى يبلغ فيها الانفعال مداه ، تتعطل الحركة ويقف التفكير ، وتكون اللمسة والنظرة وربما الإغفاءة أكثر فى النفوس تأثيراً وأقرب إلى القلوب نفاذاً .

من منا استطاع ، وهو فى أوج انفعاله أن يتكلم . . إن كيانه كله حينئذ يرتجف : قلبه ، عقله ، تفكيره ، روحه ، كل نبضة فيه ولمسة تتحول إلى تعبير . . يصبح أشبه بالسلك الذى مسته الكهرباء . . الكلام يصبح أمامه أضعف وسائل التعبير : اللغة ، الفصاحة ، البلاغة ، كل ما أوتى من تجربة وفهم وذكاء يحسبها جميعاً أضعف مما شمله من انفعال

ولو كان الكلام كافياً للتعبير لماذا كانت الموسيقى إذن ؟ لماذا كان الرسم والنحت والتصوير ؟ بل لماذا كانت الدموع تحرق العين ، والآهات تصهر القلب ، واللمسات العلوية ترفع الروح فكأنها بعض النجوى وبعض السر الكامن في أصل الوجود ؟

وإن من العواطف ما يسمو على الكلمة ويقف منفرداً كأن الدنيا لم تخرج له تعبيراً ، وإنا نشعر أحياناً أن الموسيقى والأدب وسائر الفنون تعجز عن تصوير العاطفة . . وإن بعض القلوب لتشعر أن ما فيها أقوى من كل ما في الدنيا . . العقل وحده هو الذي يستطيع أن يعبر عن نفسه بالكلام لأنه يقيسه ويرسمه ، إنه ينقل معادلات وحججاً وبراهين ويدفع شبهات وشكوكاً . . أما القلب وما فيه ، كيف يكفى الكلام وحده للتعبير عنه ، وإنه لأقل وسائله وأضعفها شأناً . .

إن الفنون والآداب وجدت لكي تعبر عن القلب ، والأغاني ذاتها لا تحفر كلماتها في القلب ما يحفر النغم . . وكثيراً ما سما الإنسان بعاطفته عن الكلام ، أحس أنه يهينها ، لأنه يشعر أنها في كيانه ، وكيف يحتاج الكيان الناطق إلى تعبير باللسان .

طارق جديد

أحست بضلال عاطفي لم تعرف السبيل إلى الخلاص منه .
كانت تسأل نفسها في كل وقت عن العلاقة بين الجسم والعاطفة ،
عن القلب والروح وتسخر ممن يتحدثون عن القلق ، فلم تكن تشعر إلا أنها
تعيش في وفاق بين العاطفة والحبس والقلب والروح كانت حياتها نغماً
منسجماً وأغنية جميلة التوقيع .

ثم دخلها القلق ، أشبه بالضباب والندى ، فاستقبلته أول الأمر
في حنين لذيذ تسرب إليها في استواء كأنه المخدر . كان ليلاً هادئاً . .
وجاء هذا القلق كالحلم الرقيق ، كالزهرة تلتقي في الغدير الصافي فلا تفسد
صفاءه ، ولكن تضيف إليه عطر الزهور

التقت به مصادفة ، واستمعت إليه ، سحرها حديثه . واستولت عليها
شخصيته وعادت إلى بيتها وفي قلبها ديب كحفيف الشجر . ارتاحت
إليه لأنه كالهمس العذب يسكت في الضجة ويحوم حول قلبها في
الهدوء .

وفي الليل حينما أوت إلى مخدعها ، أحست بالديب يشتد وبالحنين
يلح ، تولاهم الرعب ولكنها تبسمت ساخرة وطردت هواجسها واستغرقت في
نوم هنيء

والتقت به مرة ومرة تستمتع بحديثه وتأسرها شخصيته وتخرج من هذا
وذاك راضية . حياتها تسير رتيبة ، لا قلق ، ولا اضطراب ، ولاؤها حيث
كان ، وقلبها حيث كان ، وحبها حيث كان . لا جديد سوى الحنين
الرقيق والخيال العذب والحديث الجميل يطن في أذنيها شداً فيه الغموض
والسحر .

وتراخت الأيام والليالي فإذا الدبيب الرقيق يتسرب في قلبها وخيالها
رويداً رويداً ، وإذا الحنين الهادئ يتسلل إلى كيانها ، فإذا هو قلق
أو ما يشبهه .

أحست أن هذا الحنين الغامض أصبحت له معالم . كانت تتخلى
عنه إذا كانت لا تريده ، فلم تكن فيه حياة ولم تكن له حرمة أما الآن
فقد شعرت أن الحياة تدب فيه .

أصبحت له إرادة وحرمة .

ما هو ؟ ولماذا نشأ ؟ ما مصيره ؟ بل ما مصيرها ، إن قلبها مشغول ،
لا مكان فيه لطارق جديد . إن حياتها تسير هادئة جميلة وادعة
لا ينقصها شيء .

هل لابد من صراع ؟ هل لابد من قلق ؟
وطالما سخرت مع الساخرين من الحيارى المعذبين بين عواطف
تشب وتشتعل ؟ أكتب عليها ما كتب عليهم من صراع وقلق ؟
أهذا عقاب سخريتها وإنكارها وجحودها ؟
ترى هل يريد القدر أن يجعل ضحكاتها دموعاً ؟ أترأى يأتي إلا أن
يتقاضى الثمن باهظاً يفدح ؟

واحتارت ، أطارق جديد والقلب مملوء ؟
هل يمكن أن يطرد الحب حباً . . . إذن فيم كان النبض الأول والعذاب
الأول والهناء الأول ؟

فيم كانت الأشجان والأحلام وسهر الليالي والأيام ؟
فيم كان القلق والضنى ؟ فيم كان الميلاد العسير لعاطفة نبتت وسط
الحرمان والدموع ؟

أيمكن ألا يكون ما في قلبها حباً ، ويكون الطارق الجديد هو الحب
السعيد .

* * *

وذهبت إلى صاحبها مرتاعة ، قالت له : احمنى ، احفظنى ،
حدثنى . . . لا تدع أحداً يأخذنى منك .

قال : من يستطيع ؟ أنت كيانى . .
قالت : نفسى . . قلبى ، عواطفى ، قلبنى ، خيالى ، أوهامى .
اجعلها كلها لك . احرص عليها . . ضمنى أكثر وأكثر حتى لا يتسرب
منها شىء .

ولم يفهم .

قال : هل هناك أحد ؟

قالت وهى تصرخ : كلا . . كلا . . . حدثنى . . دعنى أسمع
صوتك ، تكلم . ليس بهذه الطريقة ، بل بتلك . . .
كان رنين صوت الرجل الآخر فى أذنيها هامساً ، خافتاً ، ولكنه
كان قوياً محجب عنها الصوت القريب منها .

العش والقفص

قالت له : « الوقت الوحيد الذى أشعر فيه إننى أمتلك زوجى ساعة يلفه النوم على كتفى أو على صدرى وألف ذراعى حوله . . . إننى فى ضيق من حياتى مع هذا الرجل . . . إننى أحبه حباً جنونياً . . . ربما كانت هذه غلطتى وقد حاولت أن أرد هذا الطوفان عنى ولكننى لم أستطع . . . لا أثق فى كلمة يقولها ولا أثق فى صمته . إننى أتعذب معه إذا تكلم وإذا صمت . أتعذب أيضاً إذا أكد لى أنه يحبنى وأتعبب أكثر إذا سكت عن حديث الحب . طوال غيابه عن البيت لا أتصور إلا أنه يغازل النساء ويجرى وراءهن . تمنيت لو كسرت دماغه وعرفت ما فيه . . حتى وهو معى ينخيل إلى أنه ليس معى . وإنى لأغريه أحياناً بالنوم حتى أهدأ . أشعر متى نعس نعاساً عميقاً ولففت ذراعى حوله أننى امتلكته وأنى أرقب أحلامه وهو أجسه . . حتى أحلامه ترعبنى ، تمنيت لو كان الإنسان لا يحلم ، تمنيت لو كف عقله الباطن عن العمل أثناء النوم .

« حتى فى نومه لا أشعر بالراحة والهدوء ، ينخيل إلى أن عقله الباطن يشتغل . . . فى ماذا يفكر . . . بماذا يحلم . . . أى المخزونات فيه . . . أى الرغبات والعواطف المكبوتة ؟ . . . تمنيت لو شققته هو أيضاً . . . إننى أسمع من صديقتى شيئاً آخر . . . أسمع أنهن لا يفكرن مثل تفكيرى ، حسبهن أن الرجل يأتى فى ميعاده وينصرف فى ميعاده ، حسبهن أن يؤدى واجبه نحوهن ولا يسىء معاملتهن .

« لا بد أننى امرأة غير عادية . إن زوجى رقيق معى جداً . يبدى حباً وعطفاً لا مزيد عليهما . . . ومع ذلك فأنا تعسة . لست أدرى لماذا لا أومن بالظواهر ، لماذا لا أثق فيها . . . ينخيل إلى أحياناً كثيرة أن

المبالغة فيها تخفى أشياء أخرى . . . وأذهب وراء هذه الأشياء . . .
مصيبتى أننى أذهب وراءها ولا أعرفها . . . لا بل إنى أعرفها ، إنها بعض
خيالى وأوهامى .

'قلت له ذات يوم : أنت تخدعنى .
قال : أنت تخدعين نفسك ، تظنين أنك بهذا الحرص الزائد
تحتفظين بى . العصفور المحبوس يفكر فى الهرب .

- ولكن القفص جميل .
- ليس فى الدنيا قفص جميل .
- حتى ولو كان فيه الحب ؟
- الحب حرية وليس قيداً . أنت لا تشعرين بجماله وحوله كل
هذه القيود . . . دعينى حراً
- أخشى أن تطير .
- العصفور يرجع دائماً إلى عشه ولكنه لا يرجع أبداً إلى القفص .

الكتاب القادم...

البحر والناس

تأليف:

الدكتور سيد حسن شرف الدين

دارالمعارف بمطـر

تقدم للناشئة والشباب كتابين جديدين

في مجموعة (أولادنا)

الثنى ١٨ قرشاً

• حصان طروادة

الثنى ١٨ قرشاً

• عودة المحارب

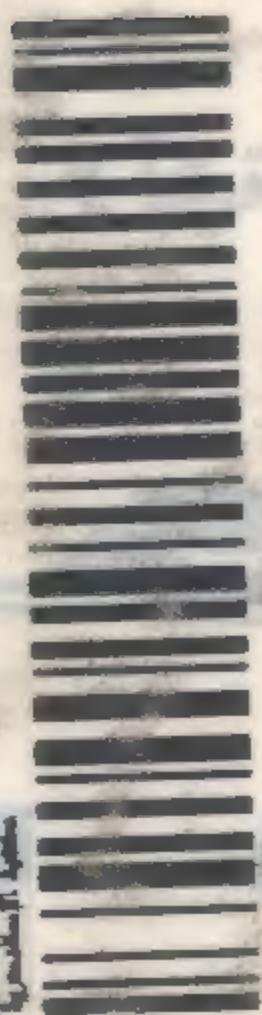
صدر من هذه المجموعة ٢٥ كتاباً

اشترك في تحريرها أعلام القصة في الشرق والغرب ،
وازدانت بصفاء لغتها وقوة أسلوبها وأناقة رسومها وجمال
إخراجها .

(ثمن النسخة من كل كتاب بين ١٥ و ١٨)

دارالمعارف

Bibliotheca Alexandrina



0395478

